دولـة لـيبيـا
الجامعة الأسمرية الإسلامية
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية
قسم اللغة العربية – شعبة البلاغة والنقد

عدول الأفعال في القرآن الكريم

دراسة للأسرار البلاغية في الربع الأخير

بحث مقدم استكمالًا لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالبة :

هالة مصباح علي بن هامل

إشراف : أ . د . عادل بشير الصاري

العام الجامعي : 2014-2015 م

دولـــة لـــيبيا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الأسمرية الإسلامية

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الرقم الإشاري : ل.ع / 147

STATE OF LIBYA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION & SCIENTIFIC RESEARCH
AL ASMARYA ISLAMIC UNIVERSITY- ZLITEN

College of Arabic Language and Islamic Studies

التاريخ : ... / ... / 143 هـ
الموافق : 28 / 4 / 2015 م

قرار لجنة مناقشة رسالة الإجازة العالية "الماجستير"

عملاً بقرار السيد/ رئيس الجامعة الأسمرية رقم «104» لسنة 2015م، الصادر في: 2015/02/15م القاضي بتشكيل لجنة لمناقشة رسالة علمية للحصول على درجة الإجازة العالية "الماجستير" في تخصص/ البلاغة والنقد المقدمة من طالبة الدراسات العليا هالة مصباح علي بن هامل بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وعنوانها:

"عدول الأفعال في القرآن الكريم – دراسة للأسرار البلاغية في الربع الأخير"

و تتكون لجنة المناقشة من الأساتذة الأفاضل :

1-	أ.د. عادل بشير الصاري	الجامعة الأسمرية	مشرفاً ومقرراً
2-	أ.د. محمد عبد السلام سويسي	جامعة المرقب	عضواً خارجياً
3-	أ.د. محمد حسين ضو	الجامعة الأسمرية	عضواً داخلياً

عقدت اللجنة جلسة علنية على تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم الثلاثاء الموافق: 2015/04/14م، بمدرج الجامعة الأسمرية لمناقشة الرسالة وتقويم مستواها العلمي والمنهج الذي اتبعته الباحثة والمصادر التي استخدمتها في دراستها، وقررت ما يلي:

القـــــرار

بعد إتمام الطالبة هالة مصباح علي بن هامل، لمتطلبات الدراسات العليا واجتياز امتحاناتها ومناقشة رسالتها وتقويمها تقرر:

- إجازتها دون ملاحظات ☑ وتمنح الطالبة درجة الإجازة العالية "الماجستير" بتقدير: ممتاز في تخصص البلاغة والنقد.
- إجازتها بملاحظات ☒ وتمنح الطالبة فرصة للتعديل والأخذ بالملاحظات خلال / ..... من تاريخ المناقشة.
- عدم إجازتها ☒ وتمنح الطالبة فرصة أخرى للمناقشة خلال / ..... أشهر .

توقيعات أعضاء لجنة المناقشة:

1-	أ.د. عادل بشير الصاري	الجامعة الأسمرية	مشرفاً ومقرراً	.....
2-	أ.د. محمد عبد السلام سويسي	جامعة المرقب	عضواً خارجياً	.....
3-	أ.د. محمد حسين ضو	الجامعة الأسمرية	عضواً داخلياً	.....

توقيعات أعضاء اللجنة بعد التعديل والأخذ بالملاحظات: / / 2015م:

1-	أ.د. عادل بشير الصاري	الجامعة الأسمرية	مشرفاً ومقرراً	.....
2-	أ.د. محمد عبد السلام سويسي	جامعة المرقب	عضواً خارجياً	.....
3-	أ.د. محمد حسين ضو	الجامعة الأسمرية	عضواً داخلياً	.....

يعتمـــد/

د. عصام محمد الصاري
مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة

د. محمد عمار الأبيض
عميد كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية

﴿ حَمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٢ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٣ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٤ ﴾

سورة الدخان – الآيات : 1-4

الإهـــــداء

إلى والديّ العزيزين ... بارك الله في عمريهما .

إلى زوجي خالد منصور بن ميلاد ، وولديّ منصور ووليد .

إلى إخوتي معمر وعلي وعبد الرحمن وسالم.

إلى أخواتي .

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

المـــقـــدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علّم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن أسلوب العدول من أهم المبادئ التي قامت عليها الأسلوبية ، حتى عده بعض الأسلوبيين الأسلوب ذاته ، فهو يمثل المستوى الفني الإبداعي المتجاوز للمألوف ، يجد فيه المبدع وسيلة لإظهار قدراته الفنية ومواهبه الإبداعية ، ويكشف عن الطاقات التعبيرية والقيم الجمالية التي تكتنزها اللغة ، ويسهم في تشكيل جمالية العمل الأدبي وشعريته ، ويلمس القارئ من خلاله الجدة والطرافة في العمل الأدبي ، وهو – كما سيتبين من خلال الدراسة – ملتقى علميْ النحو والبلاغة ، ومعتَى الدراسة الأسلوبية ، ومظهر من مظاهر الإعجاز القرآني .

والعدول في النص القرآني لا يكون إلا لغرض بلاغي أراده الحق تبارك وتعالى ، فالتعبير القرآني عندما يُغيّر بين الصيغ ، ويعدل عن صيغة إلى أخرى فإنه يكشف لنا عن المعاني البلاغية ، والإيحاءات الدلالية التي تدل على الإعجاز البياني لهذا الكتاب الخالد ، فكما أن النص القرآني المعجز دقيقاً في اختيار الألفاظ نجده دقيقاً غاية الدقة في اختيار الصيغ واستعمالها في المواضع التي يقتضيها السياق ، والمتأمل في النص القرآني يقف مذهولاً إزاء التناسب العجيب بين الألفاظ المنتقاة وبين سياقاتها .

ومما شجعني على اختيار أسلوب العدول موضوعاً للدراسة عدة أسباب أذكر من بينها :

1- يعد العدول سمة بارزة في النص القرآني .

2- اهتمام الدراسات اللغوية والبلاغية به .

3- قيام الدراسات قديماً وحديثاً عليه .

كل ذلك شجعني على اختيار أسلوب العدول موضوعاً للدراسة ، على أن يكون مجال تطبيقه النص القرآني الكريم ، كونه النموذج الأمثل للبلاغة العربية ، هذا وبعد أن استقر في نفسي اختيار القرآن الكريم نصاً تطبيقياً ، كان لزاماً علي أن أحدد منه نموذجاً لدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية ، فوقع اختياري على الربع الأخير منه ، لكوني تمكنت من حفظه أثناء دراستي بالجامعة ، ولعدم وجود دراسة مستقلة عن عدول الأفعال في الربع الأخير من القرآن الكريم – فيما أعلم – ترصد صور العدول فيها وتحللها تحليلاً بلاغياً أسلوبياً ، وتبيّن دلالة العدول عن صيغة إلى أخرى للفعل ، ولوفرة نماذج عدول الأفعال في هذا الربع ، فأحيانا يكون في الموضع الواحد أو الآية الواحدة أكثر من نوع من أنواع العدول ، لذلك قاربت الدراسة ما تيسّر لها منها ، فعسى أن يرتقي هذا العمل إلى نيل هذا الفضل .

وتأتي أهمية هذه الرسالة في دراسة ظاهرة العدول في الأفعال في الربع الأخير من القرآن الكريم من خلال منهج وصفي تحليلي يحاول رصد صور العدول ويحللها تحليلاً بلاغياً أسلوبياً ، ليصل إلى فهم بلاغة النص القرآني ، وبيان إعجازه .

وسأحاول أن تكون هذه الدراسة غنية بالتوضيحات البلاغية لأسلوب العدول في الأفعال ، وذلك بالاعتماد على آراء القدامى والمحدثين من مفسرين وبلاغيين ، من خلال الاستعانة بعدد من المصادر والمراجع ، ككتب التفسير، مثل : الكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان ، وروح المعاني للألوسي ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، وكتب أخرى تناولت أسرار الإعجاز القرآني ، مثل : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ، كما أفادت الدراسة من الدراسات البلاغية والأسلوبية الحديثة ، مثل : البلاغة والأسلوبية لمحمد

عبد المطلب ، ورسالة دكتوراه بعنوان (أسلوبية الانزياح في النص القرآني) لأحمد الخرشة ، الذي جعلها في أربعة فصول تناول في الأول منها الانزياح في إطاره النظري ، وفي الثاني الانزياح الدلالي ، وفي الثالث الانزياح التركيبي ، وفي الرابع الانزياح الصرفي ، ولم يخصص فصلاً للحديث عن العدول في الأفعال ؛ بل كان حديثه عنه في ثنايا حديثه عن أنواع العدول التي تناولها بالدراسة ، ورسالة ماجستير بعنوان (العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم) لجلال الحمادي ، الذي درس في الفصل الأول من الباب الثاني العدول في صيغ الأفعال ، تناول فيه العدول التركيبي في صيغ الأفعال ، ولم يدرس العدول الاستبدالي فيها .

وقد اقتضت خطة الدراسة أن تكون في أربعة فصول ، هي :

الفصل الأول : تناولت فيه مفهوم العدول ووظيفته ، ومعياره ، وتصنيفاته ، كما تناولت فيه مفهوم العدول عند البلاغيين القدامى والأسلوبيين المحدثين ، ثم عرضت لعلاقته بالنص القرآني .

والفصل الثاني : تناولت فيه عدول الأفعال من حيث البناء ، وقسمته إلى مبحثين : العدول الاستبدالي تناولت فيه العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول ، والعدول التركيبي ، وقسمته إلى مطلبين : العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول ، والعدول عن البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم .

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه عدول الأفعال من حيث الزمن ، وقسمته إلى مبحثين أيضاً ، الأول : الاستبدالي ، وقسمته إلى ثلاثة مطالب : العدول عن صيغة الماضي ، والعدول عن صيغة المضارع ، والعدول عن صيغة الأمر ، والثاني : العدول التركيبي ، وقسمته أيضاً إلى الأقسام الثلاثة السابقة .

وفي الفصل الرابع تناولت عدول الأفعال من حيث الرتبة أو التقديم والتأخير، وجعلته في أربعة مباحث ، تناولت في الأول تقديم الفاعل أو نائبه على الفعل ، وفي الثاني تقديم المفعول به على الفعل ، وفي الثالث تقديم بعض المتعلقات الأخرى على الفعل ، أما الرابع فجعلته في تقديم الفعل على الفعل ؛ لتكون بذلك الخاتمة بمثابة زبدة البحث المتمثلة في أهم النتائج التي توصل إليها .

والتزمتُ في توثيق الآيات وتخريجها رواية الإمام قالون عن نافع المدني المكتوب بالخط الكوفي ، واقتضت الدراسة أحياناً أن أشير إلى غيرها من القراءات ، كما التزمت في ترتيب الشواهد ترتيب الآيات في السور ثم ترتيب السور حسب ورودها في المصحف .

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عادل بشير الصاري ، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة مشكورًا ، إذ حظيت منه بالقراءة والمراجعة أكثر من ثلاث مرات ، فقد منحني الكثير من وقته وجهده ، وكانت لملاحظاته وتوجيهاته الأثر الواضح في إنجازها ، فأسأل الله العلي القدير أن يبارك له في عمره وعلمه وعمله ، ويمنحه الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكون لهم فضل عظيم في تقويم هذه الدراسة ، فجزاهم الله كل خير .

✍ الطالبة

الفصل الأول

العدول في إطاره النظري

المبحث الأول:

مقاربة مفهوم العدول

المبحث الثاني:

العدول بين البلاغيين والأسلوبيين

المبحث الأول

مقاربة مفهوم العدول

المطلب الأول : مفهوم العدول وتعدد مصطلحاته

المطلب الثاني : معيار العدول

المطلب الثالث : تصنيفات العدول

المبحث الأول : مقاربة مفهوم العدول

المطلب الأول : مفهوم العدول وتعدد مصطلحاته

تشير مادة (عَدَلَ) في المعاجم اللغوية إلى دلالات كثيرة [1] ، محصورة بين مضمونين ، أولهما : المتمثل في الإنصاف وإحقاق الحق ، فـ((العدل : ماقام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجَوْر ، كالعدالة والعُدولة والمعدِلة والمعدَلة : عدل يعدل فهو عادل من عُدُول وعَدْل بلفظ الواحد))[2].

وثانيهما والذي يهمنا هنا : عدل عن الشيء يعدل عَدْلاً وعُدُولاً : حاد ، وعن الطريق : جار ، وعدل إليه عُدُولاً : رجع ، وانعدل عنه : تَنحّى [3]، أي أنه يشير إلى معنى الانحراف والتحول عن الشيء إلى غيره .

والعدول في مفهوم الدراسات الأسلوبية هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف ، وعن الأسلوب المتوقع من الاستعمال اللغوي أو ما يقتضيه الظاهر ؛

1- ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، تصحيح : أمين عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999 م ، 83/9 ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، مراجعة : أحمد مختار عمر ، خالد عبد الكريم جمعة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، (د.ط) ، 1997 م ، 443/29 .

2- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط3 ، 1980م ، 13/4 .

3- ينظر : لسان العرب ، 86/9 ، تاج العروس ، 449/29 .

لغرض قصده المتكلم أو جاء به عفو الخاطر ، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة [1] .

يتضح مما سبق أن العدول هو تصرف المتكلم في اللغة ؛ ليفضي بكلامه إلى أن يكون متميزاً ، خاصًّا به ، فكلما تصرف الأديب في هيكلة الدلالة ، وأشكال التركيب ، انتقل كلامه من السمة الإخبارية العادية إلى السمة الأدبية الإبداعية ، وأظهر قدراته الفنية ومواهبه الإبداعية ، وأكسب نصه الجدة والطرافة والتميز ، بالخروج به عن القوالب الجاهزة ، والمعاني المعجمية الضيقة ، مما يلفت انتباه المتلقي ويدهشه .

فالأسلوب وفق الدراسة الأسلوبية يتم في مرحلتين هما : مرحلة الاختيار ، ويتم فيها اختيار الكلمات التي يصاغ منها الكلام بما يوافق السياق ، ومرحلة التأليف ويتم فيها نظم الكلمات وترتيبها إلى بعضها البعض حسبما تقتضيه قوانين النحو ، وتسمح ببعضه مجالات التصرف .

1- ينظر : الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق ، يوسف أبو العدوس ، دار المسيرة ، عمّان ، ط1 ، 2007 م ، ص180 .

- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبه ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984 م ، ص107 .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985 م ، ص114 .
- معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي ، التعاضدية للطبع والنشر ، صفاقس – تونس ، 1986 م، ص8 .
- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، نور الدين السد ، دار هومة ، الجزائر ، (د.ط) ، 1997 م ، 179/1 .
- العدول عن المطابقة في العربية ، حسين الرفايعة ، دار جدير ، عمّان ، 2005 م ، ص28 .
- ظاهرة العدول في شعر المتنبي ، دراسة في الشعرية ، مصطفى عبد الهادي عبد الله ، منشورات جامعة 7 أكتوبر ، مصراتة ، ط1 ، 2010 م ، ص27 وما بعدها .
- الانزياح في الشعر الليبي ، محمد الشلطامي ، ومفتاح العماري نموذجاً ، سالمة سليم ، رسالة ماجستير، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، 2015م ، ص19 .

ولكل متكلم معجمه اللغوي الخاص ، وطريقته الخاصة في بناء الجمل وترتيبها والربط بينها ، ومن هنا يمتاز أسلوب عن أسلوب .

وما ذلك إلا لأن الأسلوبيين قسموا الأداء اللغوي للكلام إلى مستويين ، الأول : المستوى المثالي العادي ، الذي تتجسد فيه قوانين النحو ، وتتجلى فيه الصورة المثالية للغة لتؤدي وظيفتها في الإبلاغ ، والثاني : المستوى الإبداعي الفني الذي يخرج عن النمط المألوف للكلام ، بمخالفة مثالية اللغة ، وينتهك قوانينها ، ويعدل عن أعرافها ؛ ليمد الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيراً خاصًّا في المتلقي، ويمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي واختيار ، وبما فيه من عدول عن المستوى المألوف ، مع اعتماده على النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، ذلك النحو الذي حرص اللغويون والنحاة من خلاله على مثالية اللغة ، التي تُعد بمثابة المرآة التي ينعكس عليها عدول المستوى الفني ، والمعيار الذي يُقاس به هذا العدول . [1]

مما سبق يمكن تلخيص أهم النقاط التي يدور حولها مفهوم العدول :

- كون العدول خروجاً عن المألوف ، يدفعنا حتماً لاستحضار ثلاثة أشياء ، هي :

1- المسار الأصلي للنص ، قبل حدوث العدول .

2- الخروج الذي وقع ، فأحدث العدول .

3- المسار الذي ينبغي أن يكون (المألوف – القاعدة) ، والذي يكون خارج النص ، لكنه حاضر في ذهن الكاتب ، والمتلقي .

- أن العدول هو الأسلوب الأدبي ذاته .

1- ينظر : البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية ، القاهرة ، (د.ط) ، 2009م ، ص269 .

- أنه خروج فردي غير مطرد بين المتخاطبين ، يخدم النص ، ويحقق هدف الكاتب.
- عدم الشيوع والاعتياد ؛ لأن ذلك يفقده غايته من الجدة والطرافة التي من شأنها أن تلفت انتباه المتلقي وتثير دهشته ، ومن ثم يدخله في حيز النمط المثالي المألوف من الكلام .
- قد تكون كثرة العدولات في نص ما ذات علاقة سلبية فتفقده قيمته الجمالية وتذهب بالنص إلى الغموض ، والتخبط لدى القارئ .

النص القرآني الكريم حين يعدل عن صيغة للفعل إلى صيغة أخرى على مستواه اللفظي أو التركيبي، أو يقدم أحد متعلقاته عليه ، فإنه يضع الفعل موضعه الذي يضيف إلى السياق معنى لا يمكن لغيره أن يحل محله ، إضافة لما توحيه صيغة الفعل أو موقعه من معنى عبر مستواه الصوتي أو الصرفي أو البلاغي .

تعدد المصطلحات الدالة على العدول :

شاعت في عدد من المؤلفات كثير من المصطلحات الدالة على مفهوم العدول ، بحيث يمكن القول إن عددها يتجاوز الستين مصطلحاً [1] ، والكثير منها لا يُعد طارئاً مستحدثاً في الكتب العربية فحسب ؛ بل إنه غربي المنشأ [2] ، إلا أنها لم تصادف الرواج نفسه عند الدارسين المحدثين ، ولاسيما العرب منهم ؛ لأسباب لعل من بينها عدم جدارة بعضها بالدلالة على المفهوم من ناحية ، ولإساءة الكثير منها للغة النقد الأدبي والأسلوبي من ناحية أخرى .

1- ينظر : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف وغليسي ، الدر العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2008م ، ص217 .

2- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، أحمد محمد ويس ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، (د.ط) ، 2005 م ، ص30 .

ويرى صلاح فضل أن كثيراً من هذه المصطلحات هي ((كلمات ذات إيحاءات أخلاقية موسومة ، مما يبرر بعض ردود الفعل الرافضة لها ، على اعتبار ما يمكن أن يفضي إليه في نهاية الأمر من العودة إلى النظرية التي كانت شائعة في القرن الماضي ، والتي يُعد الفن بمقتضاها ظاهرة مرضية والشاعر إنسان عصابي)) [1] .

وقد ذكر عبد السلام المسدي طائفة من تلك المصطلحات منها : الانزياح ، والتجاوز ، والانحراف ، والاختلال ، والإطاحة ، والمخالفة ، والشناعة ، والانتهاك ، وخرق السنن ، واللحن ، والعصيان ، والتحريف [2] ، وأضاف صلاح فضل : الكسر، والفضيحة ، والشذوذ ، والجنون [3] .

وثمة مصطلحات وأوصاف أخرى يمكن أن تتضاف إلى ما مضى من مثل : الانكسار ، وانكسار النمط ، والتكسير ، وكسر البناء ، والإزاحة ، والانزلاق ، والاختراق ، والتناقض ، والمفارقة ، والتنافر ، ومزج الأضداد ، والإخلال ، والاختلال ، والخلل ، والانحناء ، والتغريب ، والاستطراد ، والأصالة ، والاختلاف ، وفجوة التوتر [4] ، والاقتضاض ، والانعطاف ، والاتساع ، والخروج ، والفارق ، والخطأ المقصود ، والمجافاة لقواعد اللغة ، والنحو المضاد ، وما ليس شائعاً ولا عاديًّا ولا مطابقاً ، وحالة مرضية للغة ، والمسافة والاختلاف ، واللحن المحبب ، وكسر المألوف ، والاضطراب في نظام اللغة ، وتواضع جديد لا يُفضي إلى

1- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت (د.ط) ، 1992 م ، ص57.

2- ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط3 ، 1982م ، ص100 .

3- ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ص57 .

4- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ص33 .

عقد بين المتخاطبين [1] والتشويه المتناسق ، والمروق والضلال والاضطراب ، والمجاز [2] .

وجعل بعض الباحثين [3] الغلط ، واللحن ، والخطأ والإحالة من المصطلحات الدالة على ظاهرة العدول في الدرس البلاغي النقدي القديم ، في حين أخرج آخرون [4] الغلط واللبس والإبهام والتكلف من دائرة العدول الفني ، وأسموها بالضرورات أو العدول اللغوي ، وعرّفوه بأنه : اختيار تركيب لغوي تسمح به اللغة ، وقد لا تسمح به الضوابط النحوية ، من أجل تحقيق المضمون الفني ، في حين عرّفوا العدول الفني بأنه : خرق السائد الفني ، والخروج إلى مضمون غير متوقع ، وكلاهما رخصة ممنوحة للمبدع طالما أنه متمكن من أدواته اللغوية والفنية والثقافية [5] .

ومن الواضح أن هذا التقسيم غير دقيق ؛ لأنه جعل من العدول اللغوي – كما أسماه – هدفاً لتحقيق العدول الفني ، وفي موضع آخر جعله ناتجاً عن عدول فني عام [6] ، ولذا فهو ضمن دائرة العدول سواء أكان غاية أم وسيلة ، ويبقى الحكم على مدى قيمته الفنية بالنظر لكل عدول بمفرده ، تبعاً للمقام والسياق الوارد فيه هذا العدول ، ويبقى التكلف ممجوجاً في كل الحالات .

ولعل كثرة المصطلحات الدالة على مفهوم العدول راجع إلى سببين :

1- ينظر : اللغة والخطاب ، عمر أوكان ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، (د.ط) ، 2001 م ، ص170 .

2- ينظر : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص209-210 .

3- ينظر : ظاهرة العدول في البلاغة العربية ، مقارنة أسلوبية ، عبد الحفيظ مراح ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية اللغات والآداب ، 2006 م ، ص19-22 .

4- ينظر : العدول في شعر ابن هرمة ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2007 م ، ص99.

5- ينظر : السابق : ص99 .

6- ينظر : السابق : ص159 .

الأول : أن الغربيين أنفسهم قد عبروا عنه بمصطلحات كثيرة ، يقارب عددها العشرين [1] ، ذكر المسدي طائفة منها [2] ، وأضاف وغليسي طائفة أخرى [3] .

والثاني : تضاعفت هذه المصطلحات في النقد العربي الحديث ، حتى بلغت أكثر من ستين مصطلحاً عربيًّا في مواجهة هذا المفهوم ، خاصة وأن الترجمة نقلت عن اللغتين الإنكليزية والفرنسية ؛ ولعل ذلك هو ما جعل بعض الدارسين يأخذ على الأسلوبيين انشغالهم بكيفية ترجمة المصطلح على حساب نقل المفهوم ، والوقوف المعمق عند ماهية المعيار المعدول عنه [4] .

ويعد المسدي أول من لفت الانتباه إلى مصطلح العدول في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) ، غير أنه مع ذلك لم يستعمله في كتابه آنذاك ، واستعمل مصطلحاً آخر هو الانزياح ، ولكنه لم يلبث عليه طويلاً ، فقد آثر استخدام مصطلح (العدول) ، وعندما سئل عن ذلك ، أجاب بأنه عندما استعمل مصطلح الانزياح ترجمة لمفهوم (Ecart) أول مرة كان يقصد إلى إبراز سمة الجدة من حيث هو متصور إجرائي طارئ على سنن التأليف في اللغة العربية ، ثم جاء بمصطلح (العدول) إحياءًا لمصطلح بلاغي تراثي لم يَعُد يجرّ محاذير الالتباس [5] .

وأخيراً بعد استعراض هذا الكم الهائل من المصطلحات الدالة على المفهوم ذاته ، آثرت مصطلح (العدول) على غيره ؛ لكونه أكثر ملاءمة لدراسة النص القرآني الكريم ، ولوروده في التراث العربي البلاغي ، فقد استعمله العديد من البلاغيين أمثال : أبو الفتح ابن جني (ت 392 هـ) ، وعبد القاهر الجرجاني

1- ينظر : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد : ص204 .

2- ينظر : الأسلوبية والأسلوب : ص100-101 .

3- ينظر : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد : ص209-210 .

4- ينظر : السابق ، ص216 .

5- ينظر : الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ، ص45-46 ، والسائل هو صاحب الكتاب نفسه .

(ت 471 هـ) ، وغيرهم ، مما يجعله بديلاً تراثيًّا صميماً – كما قال عنه المسدي – لمصطلحات أجنبية ليست غربية فحسب ؛ بل يحمل بعضها دلالات لا علاقة لها بطبيعة لغتنا وثقافتنا العربية ، ولرواجه بين الكثير من الدارسين المحدثين أمثال : تمّام حسان وحمادي صمود ، ومصطفى السعدني ، وعبد الله صولة ، وغيرهم .

المطلب الثاني : معيار العدول ووظيفته

بما أن العدول هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف ، إذاً لا بد من وجود نقطة هي الصفر يبدأ منها هذ الخروج ، وتقاس مدى قيمته وأثره في النص بمقارنته بهذه النقطة ، وهذا ما تناوله الأسلوبيون بالبحث والدراسة ، لكنهم اختلفوا في تحديد هذه النقطة أو المعيار الذي يتم العدول عنه ، فمنهم من جعل اللغة المثالية العادية ذات الوظيفة التوصيلية معياراً له ؛ فهي تقدم المعنى بطريقة معجمية مباشرة تُبعد اللغة عن أي تأويل ، أو كما أطلق عليها الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes) ((درجة الصفر في الكتابة))[1] ، في حين عدّه آخرون مقياساً غير دقيق ؛ لصعوبة تحديد النمط العادي في التعبير[2] ، بالإضافة إلى تعذّر معرفة اللغة الشائعة في ما مضى من أعصر .

ومنهم من جعل العلاقات الرأسية (محور الاختيار) والعلاقات الأفقية (محور التأليف) معياراً للعدول ، وتتمثل الأولى في علاقة الكلمة داخل النص بمترادفاتها ومضاداتها خارجه ، في حين تتمثل الثانية في العلاقات التي تربط هذه الكلمة مع غيرها في السياق الواحد ، وممن قال بهذا المعيار الروسي رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) الذي جعل الأسلوب إسقاط لمحور الاختيار على محور التأليف [3] ، والمبدع في هذا الإسقاط يستطيع أن يُحدث عدولاً في

1- الكتابة في درجة الصفر ، رولان بارت ، ترجمة : نعيم الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، (د.ط) ، 1970 م ، ص28 .

2- ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، ص104 .

3- ينظر : السابق ، ص141 .

محور الاختيار كاستعماله الاستعارة مثلاً ، أو عدولاً في محور التأليف كاستعماله التقديم والتأخير مثلاً ، أو عدولاً فيهما معاً [1] .

ومنهم من اتخذ من البنية العميقة والبنية السطحية معياراً لتعيين العدول ، فكما قال الأمريكي نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) : ((معظم الجمل لها بنيتان : بنية سطحية أو ظاهرية ، وأخرى تحتية أو عميقة)) [2] ، أي أن لمعظم الجمل مستويين : المستوى الأول هو النمط المثالي التجريدي المقدر في الذهن ، أما المستوى الثاني فهو صورة النص المكتوب ، المعدول بها عن النمط المثالي بإدخال بعض العدولات الاضطرارية حيناً والاختيارية حيناً أخر ، والعلاقة بينهما علاقة طردية ، فكلما ازداد التباعد بين البنيتين ازداد العدول وضوحاً في النص ، ويخف هذا العدول بمقدار ما تزداد نسبة التطابق بينهما .

ومنهم من جعل الإعلام معياراً ؛ لأن نسبة الإعلام تقل بمقدار ما تزداد نسبة التوقع ، أي أن ثمة علاقة عكسية – إن صح التعبير – بين التوقع من جهة وبين المفاجأة التي يحدثها ما هو غير متوقع من جهة أخرى ، فإذا زادت نسبة التوقع قلت نسبة المفاجأة ، ومن ثم نسبة الانتباه [3] ، فقيمة العدول تحدد بمقدار ما يحققه من مفاجأة .

ومنهم من حدّد معيار العدول من خلال التفريق بين اللغة النثرية واللغة الشعرية ، فاللغة النثرية تمثل المستوى المثالي العادي للغة بينما تمثل اللغة الشعرية العدول عن هذا المستوى ، وقد مثل (جان كوهن) ذلك بخط مستقيم يمثل طرفاه

1- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص146 .

2- اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربي ، شكري عياد ، انترناشينال برس ، ط1 ،1988م ، ص53 .

3- ينظر : السابق ، ص81 .

هاتين اللغتين [1]، فأما ما بين هذين الطرفين من مستويات فيختلف في مدى شعريته أو نثريته تبعاً لمدى اقترابه لأحد هذين القطبين [2] ، ويعد هذا المعيار غير دقيق ؛ لأن العدول لا يقتصر على اللغة الشعرية ، بل قد يرد في اللغة النثرية أيضاً .

ومنهم من اعتمد الحس اللغوي للمتلقين مقياساً للعدول ؛ فتعيين العدول((يكمن في القوة التي يملكها المتلقي في قدرته اللغوية على المقارنة بينما هو معدول في النص مع ما هو نمط شائع ومألوف)) [3].

ومعيار العدول هذا يعتبر معياراً فضفاضاً ؛ لأن المتلقين يتفاوتون في تحديد درجات العدول وفهمها ، وللذوق في ذلك دور ليس بالقليل ، كما أن القارئ البعيد عن موضوع النص المدروس يشعر بالعدول أكثر من القارئ المختص بموضوع النص ، بل وأحياناً يختلف تقدير القارئ نفسه للعدول من نص إلى آخر .

ومنهم من اعتمد على حكم ما سمّاه الأمريكي ميشيل ريفاتير (Michael Riffaterre) على سبيل التجريد (بالقارئ العمدة) [4] ، وذلك بأن يعين العدول في النص من خلال الاستعانة بآراء مجموعة من القراء ممن لهم درجة في قراءة الجنس الأدبي الذي ينتمي النص إليه ، مع ملاحظة أنها لن تكون على درجة واحدة .

وقد يحدد العدول من داخل النص ، وذلك بأن يعد النص الأدبي نفسه هو المعيار الذي يقاس عليه العدول ، وقد لجأ (ريفاتير) إليه إلى جانب المعيار السابق (القارئ العمدة) سمّاه (السياق) ، ويمتاز عن سابقه بأنه معيار داخلي ، أي أن

1- ينظر : بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ط1، 1986م، ص23-24 .

2- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ص135 .

3- مجلة عالم الفكر ، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية ، مازن الوعر،ع3،4، م22، 1994م ، ص158 .

4- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ص161 .

العدول يتضح من خلال سياقه الذي يرد فيه ، أي أن بنية النص من حيث العبارات والصيغ تظهر في مستويين اثنين : أحدهما يمثل اللغة المثالية ، وثانيهما يمثل مقدار العدول عن حُدود هذه اللغة [1] .

وأخيراً جُعل الإحصاء أيضاً معياراً للعدول ، وقد استعمله سعد مصلوح في كتابه (الأسلوب دراسة لغوية إحصائية) ، في حين ربط آخرون فائدة هذا المعيار بأن يكون مصدر العدول هو التكرار ، أي أن فائدة الإحصاء ليست تعيين العدول ، وإنما في تعيين درجته ، ومن الطبيعي أن تعيين الدرجة يأتي في مرحلة تالية لاكتشاف العدول [2] .

وخلاصة القول إنه لا يمكن الاعتماد على معيار بعينه في تحديد العدول في نص ما ؛ وذلك لأن العدول يقوم أساساً على المفاجأة والتغير وعدم الثبات ، فكثيراً ما يحدث أن تتحول بعض الأساليب المجازية والصور البلاغية لكثرة تكرارها وشيوعها إلى قوالب جاهزة واستعمالات عامة متداولة على كل الألسنة ، فتفقد قيمتها الأسلوبية ، وتصبح لا فرق بينها وبين الاستعمالات الأخرى ؛ بل لا بد من الاستعانة بجميع ما سبق ذكره من معايير في تعيين العدول وبيان أثره ، حسبما تفتضيه بنية النص .

1- ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، ص104 .

2- ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص49 .

المطلب الثالث : تصنيفات العدول

صنّف الأسلوبيون العدولات في خمسة نماذج أساسية [1] ، هي :

1- تصنيف العدولات تبعاً لدرجة انتشارها في النص ، فتكون على شكلين :إما موضعية محلية تصيب جزءًا من السياق ، مثل الاستعارات ، وتكون غالباً اختيارية ، ذات مبررات فنية جمالية ، أو شاملة تؤثر في النص كله ، مثل تردد وحدة لغوية عبر النص كله بطريقة غير مألوفة ، ويُعمد إلى رصدها بطريقة الإحصاء .

2- تصنيف العدولات طبقاً لعلاقتها بالنظام العام للغة ، فتكون : إما سلبية ، إذا اعتمدت على خرق النظام ، كما في قول البحتري : [البسيط]

فِي طَلْعَهِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنِّيهَا[2]

فالشاعر هنا عدل عما هو متعارف في العادة والعرف ، وعكس التشبيه للمبالغة كما هو واضح في البيت .

وإمّا إيجابية ، تتمثل في إضافة قيود إلى ما هو قائم بالفعل ، كلزوم ما لا يلزم ، كما في قول أبي العلاء المعري : [الطويل]

1- ينظر: علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د.ط) ، 1985 م، ص154-155 .

- علم الأسلوب ، مفاهيم وتطبيقات ، محمد الكواز ، جامعة السابع من إبريل ، الزاوية (د.ط)، 2004م ، ص88 .

2- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : بدوي طبانة ، أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) ، 160/2 ، وروي صدر البيت في ديوانه : في حمرة الورد شكل من تلهُّبها ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، (د.ت) ، ص2410 .

تُرِيدُ مَقَـامًـا دَائِمًـا ، وَمَسـرّةً بِدَارِ هُمُومٍ، لَمْ تَكُن دَارَ قُطّان

وَمَا زَالَ شَـرْطٌ، يُفسِدُ البيعَ، واحدٌ فَمَـا بالُـهُ لمّا تَظاهَرَ شَرْطَانِ؟ [1]

3- تصنيف العدولات من حيث العلاقة بين القاعدة والنص ، وتنقسم إلى شكلين : العدولات الداخلية ، كأن تنفصل وحدة لغوية ذات انتشار محدود عن القاعدة ، كورود مقطع شعري منسجم مع خط السرد العام في قصة ، فالشعر هنا عدولًا عن قاعدة الفن القصصي ، والعدولات الخارجية ، وتتمثل في ورود القصة كلها شعرًا ، فيختلف أسلوبه عن القاعدة التي تقضي أن يكون أسلوبها نثرًا .

4- تصنيف العدولات طبقًا للمستوى اللغوي الذي تعتمد عليه إلى :

أ- العدولات الخطية ، وتكون في النصوص المكتوبة .

ب- العدولات الصوتية ، مثل تكرار صوت معين ، أو تغيير طريقة نطق كلمة معينة مثل قول امرئ القيس : [السريع]

فَاليَوْمَ اشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ إِثْماً مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ [2]

فكلمة (اشربْ) حين سكن آخرها عُدل بها عن الأصل بأن تكون مرفوعة .

ج- العدولات المعجمية ، كالمجاز ؛ لأنه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في أصل اللغة .

د- العدولات النحوية ، كبناء الفعل للمجهول مثلًا .

1- اللزوميات : أبو العلاء المعري ، تحقيق وإشراف : جماعة من الأخصائيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1986 م ، 377/2 .

2- شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوبي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط3 ، 1953 م ، ص173 ، وفي الديوان : **فاليوم أسقى غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل**

ديوان امرئ القيس ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 2004 م ، ص141 .

هـ- العدولات الدلالية ، كالكناية .

5- تصنيف العدولات طبقاً لتأثيرها على العلاقات الاستبدالية في محور الاختيار ، وعلى العلاقات الركنية في محور التأليف .

إذا كان النص المنجز كما قال جاكبسون يتم من خلال ((تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ، ثم تركيبه لها تركيباً تقتضي بعضه قوانين النحو ، وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال)) [1] .

وهذا ما أشار إليه أحمد ويس عندما قال : ((إذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات ، وجملاً ، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات ، وهذه الجمل ، وربما صح من أجل ذلك أن تقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح ، فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقاً بجوهر المادة اللغوية مما سمّاه كوهن [الانزياح الاستبدالي] ، وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه ، وهذا ما سمي [الانزياح التركيبي] .)) [2] .

ولعل هذا ما قصده عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((واعلم أن مما هو أصل في أن يدِقَّ النظر ويغمض المسلك ، في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول ، وأن يحتاج في الجملة أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني

1- الأسلوبية والأسلوب : ص92 .

2- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ص111 .

يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك ، نعم ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين)) [1] .

فهو يرى أن المتكلم في صياغته للكلام كالبنّاء ،الذي يختار الحجر المناسب، ويضعه في المكان المناسب ، وهما عمليتا (الاختيار والتأليف) ، وقد حدد الترتيب الزمني للعمليتين ، ففي مقولة جاكبسون قال : (متتاليتين في الزمن)، لكن الجرجاني استعمل عبارة ((في حال ما يضع ... وفي حال ما يبصر)) ، فكأن العمليتين وإن كانتا منفصلتين ، تحدثان في آن واحد.

ومن ثم ، فإن العدول ينقسم إلى نوعين رئيسين هما : العدول على مستوى محور الاختيار (العدول الاستبدالي) ، والعدول على مستوى محور التأليف (العدول التركيبي) ، وكل مستوى من هذه المستويات يضم مجموعة من القواعد النمطية ، وكل خروج على واحدة منها يعد عدولاً ؛ أي أن هناك مجموعة من العدولات في كل مستوى ، مما يجعل الإحاطة بها أمراً شديد الصعوبة ؛ لذلك سأدرس أبرزها في النص القرآني الكريم .

1- كتاب دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط3، 1992 م ، ص93 .

المبحث الثاني
العدول بين البلاغيين والأسلوبيين

المطلب الأول : العدول عند البلاغيين القدامى

المطلب الثاني : العدول عند الأسلوبيين المحدثين

المطلب الثالث : العدول والنص القرآني

المبحث الثاني : العدول بين البلاغيين والأسلوبيين

المطلب الأول : العدول عند البلاغيين القدامى

لم يكن في البداية ثمَّ مصطلح اسمه العدول لا لغوياً ولا فنياً ، لكن المفهوم ظهر فيما سمي بالضرورات لعدة أسباب من بينها تعدد اللهجات ، ومحاولة تقعيد اللغة ، والاعتماد على الشعر دون النثر في الغالب ، ثم انتقل هذا التراث اللغوي إلى النقد العربي والبلاغة ، واحتل مكاناً متميزاً ، وصار مفهوم العدول إما أن يضيق لدرجة الاقتصار على العدول اللغوي فقط ، وإما أن يتسع ليشمل العدول اللغوي وكل مآخذ النقاد على الشعراء في صنعة الشعر[1] .

رصد الحسن بن بشر الآمدي (ت370هـ) في كتابه (الموازنة) عدولات كل من أبي تمام والبحتري ليقيم الموازنة بينهما ، ولاسيما أنهما مثّلا تيارين مختلفين ، تيار الفن المصبوغ بالتحضر والرقي العقلي ، الذي يتجاوز الإمتاع النفسي والذوقي إلى الإمتاع الفكري ، مثّله أبو تمّام ، وتيار جرى على مذاهب العرب ، يؤثر النظم على أنغام الشعر الغنائي ، ولا يغوص في متاهات الفكر ، مثّله البحتري ، ونجد الآمدي يصف كثيراً من عدولات أبي تمام بالثقل والرداءة والغثاثة [2] ... إلخ.

1- ينظر : العدول في شعر ابن هرمة : ص105 .

2- ينظر : الموازنة بين الطائيين ، الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1983 م ، 203/1 .

وأورد مصطلح العدول أبو الفتح بن جني في كتابه الخصائص ، حيث قال : ((وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة ، وهي الاتساع والتوكيد والتشبه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة)) [1] ، ووصف الشاعر بالشجاعة عند إيراد الضرورة الشعرية ((فهو وإن كان ملموماً في عنفه وتهالكه ، فإنه مشهود له بشجاعته))[2] ، ولعله بذلك قد سبق إلى القول بأن اللغة حية بالاستعمال ، والاستعمال سابق للمَعْيرة والتقعيد [3] .

وقد أورد مصطلح العدول أيضاً عبد القاهر الجرجاني للدلالة على ترك طريقة في الصياغة إلى طريقة أخرى ، أحسن في التعبير عن المعنى ، وذلك في سياق حديثه عن الإظهار ، والإضمار ، والدواعي الفنية الموجبة لكليهما ، قال تعليقاً على قول الشاعر: [الطويل]

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ [4]

((فقياس هذا لو كان على حد ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ** ﴾ [5] أن يقول : (لو شئت بكيت دماً) ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه ؛ لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصاً ، وسبب حسنه أنه كأنه بِدْعٌ عجيب أن يشاء

1- الخصائص : أبو الفتح بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1957 م ، 442/2 .

2- السابق : 392/2 .

3- ينظر : ظاهرة العدول في البلاغة العربية : ص16 .

4- للخُريمي ، وهو إسحاق بن حسّان السُّغْدي ، يرثي عثمان بن عامر بن عمارة بن خُرَيم الذبياني ، الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، 1997 م ، 1362/3 .

5- سورة الأنعام : الآية (36) .

الإنسان أن يبكي دماً ، فلمّا كان كذلك ، كان الأوْلى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به)) [1] .

ويلتفت إلى عدول فني آخر حين يقول : ((وهو أن يكون للمعنى من المعاني ، والفعل من الأفعال علّة مشهورة من طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن تكون لتلك المعروفة ، ويضع له علة أخرى ، مثاله قول المتنبي: [الرمل]

مَا بِهِ قَتْلُ أعَادِيهِ ولكِنْ يَتّقي إخلافَ ما ترْجو الذّئابُ [2]

الذي يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه فلإرادته هلاكهم ، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ... وقد ادّعى المتنبي كما ترى أن العلّة في قتل أعدائه غير ذلك، واعلم أن هذا لا يكون حتى يكون في استئناف هذه العلة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح ، أو يكون لها تأثير في الذم ، كقصد المتنبي ههنا في أن يبالغ في وصفه بالسخاء والجود ، وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين .... فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتَّسع عليها الرزق ... كره أن يُخلفها ، وأن يخيّب رجاءها)) [3] .

وقد أورد أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) مصطلح العدول بمعنى الميل ، أو الانحراف مرة واحدة [4] ، في حديثه عن الغاية من التقديم والتأخير ، وهي ((كون العناية بما يقدم أتم ، وإيراده في الذكر أهم ، والعناية التامة بتقديم ما يقدم ، والاهتمام بشأنه نوعان : أحدهما : أن يكون أصل الكلام ، وذلك هو التقديم ،

1- كتاب دلائل الإعجاز : ص164 ، وينظر : ظاهرة العدول في البلاغة العربية ، ص16-17 .

2- ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص143 .

3- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص296 .

4- ينظر : العدول في شعر ابن هرمة : ص124 .

ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو إلى العدول عنه ، كالمبتدأ المعرّف ، فإن أصله التقديم على الخبر نحو : (زيد عارف))) [1] ، وفي نهاية حديثه عن أنواع التقديم والتأخير يقول : ((جميع ما وعت أذناك من التفاصيل في هذه الأنواع الثلاثة من فصل التقديم والتأخير ، هو مقتضى الظاهر فيها ، وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يُسلك كثيراً ، بتنزيل نوع مكان نوعٍ باعتبار من الاعتبارات)) [2] ، فإخراج الكلام على مقتضى الظاهر ، وإخراجه لا على مقتضى الظاهر هو الشغل الشاغل للسكاكي ، ولو أن مصطلح العدول كان متداولاً بين النحاة والبلاغيين القدماء ، لفضلّه السكاكي على جملته العريضة [3] .

ويمكن استعراض مفاهيم علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع – بشكل موجز – على وفق مفهوم العدول ، فتعريف علم المعاني يقوم أساساً على رعاية مستويين من اللغة : العام المشترك ، والخاص الفردي ، فهو ((علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال)) [4] ، فذكر المطابقة يُخرِج ما لا تحصل به المطابقة أيضاً مما يدخل في المستوى العادي ، كالإعلال والإعراب ، وهو ما تكفلت به مباحث اللغويين من النحو والصرف .

ومباحثه يمتنع فيها إجراء الكلام على الأصل ، فهي أبواب تقوم أساساً على العدول في اللغة عن مستوى استخدامها المألوف ، ففي التعريف والتنكير يُفترض وجود أصل مثالي لعكس كل من الحالتين ، وفي حذف المسند إليه ينبني الكلام

1- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1987 م ، ص936 .

2- مفتاح العلوم : ص239 .

3- ينظر : العدول في شعر ابن هرمة : ص124 .

4- التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد القزويني ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص37 .

على افتراض وجوده في الأصل ، ويقال بالتقديم والتأخير للمُزَال عن وضعه لا للقار في مكانه ، ومعنى الالتفات هو ((العدول عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول)) [1] ، كانتقال الضمائر بين الغيبة والخطاب والحضور ، وانتقال الأفعال بين الماضي والحاضر والمستقبل .

وعلم البيان قامت مباحثه من المجاز والاستعارة والكناية على العدول عن الأصل بالدلالة الوضعية ، فتطبيق تعريفه ((إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة)) [2] إنما يتأتى بالدلالات العقلية ؛ لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض ، فـ((النظر في البناء الشكلي والعميق للكناية يدل على اعتمادها عمليتي الخفاء والظهور أبداً ، وقد بدأ عبد القاهر الجرجاني هذا الملحظ عندما جعلها : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ويأتي بتاليه وجوداً ، فيومئ به إليه)) [3] .

وفي علم البديع طغت فكرة التحسين على ملاحظة عدول التعبير ، واتصافه بأحد فنون البديع ، أي أن يكون هناك تعبير خالٍ من البديع ، ثم يكتسي ثوباً بديعياً ، وتعد التورية من أوجه العدول في الاختيار فهي ((أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد)) [4] ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [5]،

1- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، 71/2 .

2- التلخيص في علوم البلاغة ، ص236 .

3- البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ، دار نوبال للطباعة ، القاهرة ، ط2 ، 2007 م ، ص188 ، وينظر : دلائل الإعجاز ، ص66 .

4- التلخيص في علوم البلاغة ، ص359-360 .

5- سورة الذاريات : الآية (47) .

الأيدي : جمع جارحة اليد ، وقد عُدل عن هذا المعنى القريب إلى المعنى البعيد ، أي القدرة والقوة .

ويمكن حصر آراء البلاغيين التي تندرج تحت العدول في ثلاثة محاور : الأول : تبديل أو تغيير المواقع ، كالتقديم والتأخير ، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، والتعريف والتنكير ، والكناية ، والاستعارة ، والتشبيه .

الثاني : الحذف ، ويراد به إسقاط عنصر من عناصر البناء على مستوى الكلمة المفردة أو الجملة البسيطة أو الجملة المركبة .

الثالث : الزيادة ، حيث يزاد عنصر على عناصر البناء ، وهو أيضاً على مستوى الكلمة أو الجملة البسيطة أو الجملة المركبة [1] .

1- ينظر : علم الأسلوب ، مفاهيم وتطبيقات ، ص92 .

المطلب الثاني : العدول عند الأسلوبيين المحدثين

ارتبط مفهوم العدول بما أطلق عليه في العصر الحديث علم الأسلوب ، والأسلوبية ، وإذا كان رواده ودارسوه قد اختلفوا في المصطلحات الدالة عليه فقد اتفقوا في مفهومه العام بأنه سمة فارقة بين الكلام الأدبي التأثيري والكلام المثالي التوصيلي ، وإن كان من العسير الوقوف عند كل الأسماء التي اعتمدت مفهوم العدول ، وكان في صلب فكرها النقدي ، فليس عسيراً التوقف عند أبرز هذه الأسماء أمثال (ريفاتير) ، الذي نسب إليه صلاح فضل التطور الفعلي لمفهوم العدول [1] .

وذكر عبدالسلام المسدي أن (ريفاتير) هو من اقترح مفهوم السياق الأدبي ، ردًّا منه على المطاعن التي وجهت لمفهوم العدول ، والمتمثلة في صعوبة تحديد النمط العادي الذي يقاس به العدول ، ورأى تبعاً لذلك أن بنية النص من حيث العبارات والصيغ في مستويين اثنين : ((أحدهما يمثل النسيج الطبيعي ، وثانيهما يزدوج معه ، ويمثل مقدار الخروج عن حدّه)) [2] .

ورأى (جان كوهن) أن الشعر عدولٌ عن المعيار الذي هو قانون اللغة ، وكل صورة فيه إنما تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها ، وأشار إلى صعوبة وتعقيد وعدم ثبات مفهوم العدول [3] .

1- ينظر : علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، ص160 .

2- الأسلوبية والأسلوب : ص104 .

3- ينظر : بنية اللغة الشعرية ، ص187 .

ونبَّه (رولان بارت) إلى أن قوة النص الأدبي تكمن في استثناءاته ، ففي الاستثناء متعة يشعر بها متلقي النص ، والمتعة لا تتأتى إلا بمخالفة المألوف في صياغة النص[1] .

وعرّف البلغاري (تزفيتان تودوروف) (Tzvetan Todorov) الأسلوب معتمداً على مبدأ العدول بأنه ((لحن مبرر ما كان يوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقاً كلياً للأشكال النحوية الأولى)) [2] ، إذاً فهناك تعارض بين الأسلوب وبين الالتزام بالنحو ، ((فإن يكن الاستعمال يكرس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسات، المستوى النحوي ، والمستوى اللانحوي ، والمستوى المرفوض ، فإن المستوى الثاني منها يمثل أريحية اللغة في ما يسع الإنسان أن يتصرف فيه)) [3] .

ونذكر أيضاً من الدارسين لمفهوم العدول من العرب أبرزهم ، أمثال : عبد السلام المسدي ، الذي توقف أمام مصطلح الانزياح (Lecart) قائلاً بأنه : ((عسير الترجمة ؛ لأنه غير مستقر في متصوره ، لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبية ، فوضعوا مصطلحات بديلة عنه ، وعبارة انزياح ترجمة للفظة Ecart)) [4] ، ويجعل من العدول الأس التعريفي للأسلوبية ، يقول : ((وتكاد جل التيارات التي تعتمد الخطاب أسًّا تعريفيًّا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري ، هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها ، ويتمثل في مفهوم الانزياح (Lecart))) [5] ، ويقول : ((وقد أكسب مفهوم الانزياح الأسلوبية ثراءً في التحليل إذ تتعامل المقاييس

1- ينظر : لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، (د.ط) ، حلب ، 1993م ، ص25-26 .

2- الأسلوبية والأسلوب : ص102-103 .

3- السابق : ص103 .

4- السابق : ص162 .

5- السابق : ص97 .

الاختيارية والتوزيعية على مبدئه ، فتتكاثف السمات الأسلوبية ، وفي ضوئه يمكن إعادة وصف كثير من التحليلات البلاغية العربية)) [1] ، ويعد المسدي أول من لفت الانتباه إلى مصطلح العدول بوصفه بديلًا للمفهوم الأجنبي كما سبق القول في الحديث عن تعدد المصطلحات الدالة على العدول [2] .

ويرى سعد مصلوح أن العدول ليس وحده عمدة الأسلوبية ، فثمَّ ركائز أخرى تتمثل في أن الأسلوب قوة ضاغطة ، وأنه اختيار ، وأنه إضافة وتضمين ، وكلها رؤى تقود الناقد الأسلوبي في بحثه عن الخاصية الأسلوبية للأسلوب الأدبي [3] ، ويضيف : ((ليس كل عدولٍ جديراً بأن يعد خاصية أسلوبية مهمة)) [4] .

ويرى شكري عياد أن ((نظرية الأسلوب كلها تعتمد على فكرة الاختيار وفكرة الانحراف ؛ لأنها هي المفاتيح التي تمكننا من الولوج إلى العالم الشعوري الكامن من وراء القطعة الأدبية)) [5] .

أخيراً ، حاولت تتبع أبرز من تناولوا مفهوم العدول سواء من الدارسين الغربيين أو من الدارسين العرب ؛ وذلك لأن هذه الدراسة سُبقت بالعديد من الدراسات التي ذكرت هؤلاء الدارسين ورصدت آراءهم حول مفهوم العدول وتسميته ، ودرست مؤلفاتهم التنظيرية منها والتطبيقية ؛ لذلك لا داعي لتكرار ذلك ، خاصة وأن هذه الدراسة تختص بدراسة العدول في النص القرآني الكريم دون سواه .

1- الأسلوبية والأسلوب : ص164 .

2- ينظر : ص13 من هذه الرسالة .

3- ينظر : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، سعد مصلوح ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، 1980 م ، ص26-29 .

4- الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية : ص37 .

5- مدخل إلى علم الأسلوب ، شكري عياد ، دار العلوم ، الرياض ، ط2 ، 1992 م ، ص45 .

المطلب الثالث : العدول والنص القرآني

إن القرآن الكريم هو النص المعجز ، عجز عن الإتيان بمثله أفصح العرب كلاماً ، وأبلغهم بياناً ، وانبهروا بأسلوبه المنفرد في صياغته وتراكيبه وموسيقاه ، في كل آياته وسوره ، فكل كلمة في جملة من الكلام تدل بمفردها على معانٍ تتساوق مع المعنى الجملي للكلام ، وكل كلمة تكون بمفردها صورة بيانية تكون جزءًا من الصورة العامة للقول [1] ، كيف لا يكون كذلك ، وقد جاء بفكرة جديدة أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة ؛ لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد [2] .

وقد أشار علماء الإعجاز والتفسير والبلاغة إلى عدول النص القرآني عن المألوف من كلام العرب منذ وقت مبكِّر ، نذكر من ذلك ما قال أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى (ت210هـ) : ((ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ، ومجاز ما حذف ، ومجاز ما كفّ عن خبره ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ...)) [3] ، وقصد بمجاز الآية تفسيرها وتأويلها[4]، لذلك حرص على الكشف عمّا في الآيات القرآنية من استعارة ، وتشبيه ،

1- ينظر : المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1998م ، ص92-93 .

2- ينظر : الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1987م ، ص192 .

3- مجاز القرآن ، أبو عبيدة ابن المثنى ، تعليق : محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1981 م ، 1/18-19 .

4- ينظر: الإيمان ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، خرّج أحاديثه : محمد الألباني ،إشراف : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط4 ، 1993م ، ص35.

وكناية ... للوصول إلى إثبات إعجاز القرآن وتفوق أسلوبه على كل أساليب كلام العرب .

وأفرد أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت276هـ) في كتابه تأويل مشكل القرآن باباً تحت عنوان (باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه) ، تحدّث فيه عن خروج الكلام عن ظاهره ، كخروج الأساليب الإنشائية عن معانيها الأصلية ، والتبادل بين صيغ الأفعال ، والالتفات في الضمائر ، وأورد لذلك أمثلة كثيرة من النص القرآني الكريم[1].

أما علي بن عيسى الرماني (ت368هـ) فقد استعمل مبدأ (نقض العادة) ؛ ليبين أن أسلوب القرآن الكريم يفوق كل الأساليب التي تعارف عليها العرب في كلامهم ، حيث قال :((وأما نقض العادة ، فإنَّ العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة ، منها الشعر ، ومنها السجع ، ومنها الخطب ، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة ، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة)) [2] .

وبين أبوبكر بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) أن القرآن بديع النظم ،عجيب التأليف ، خارج عن المعهود من كلام العرب ، حيث قال : ((إن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه ، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف في ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ...وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتميز

1- ينظر : تأويل مشكل القرآن ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1981 م ، ص275-298 .

2- النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1968 م ، ص111 .

حاصل في جميعه)) [1] ، وبذلك فإن الإعجاز القرآني لا يكمن مثلاً في مجرد إيراد الاستعارة والتشبيه ؛ لأنها وإن كانت تشكل عدولاً عن المألوف ، لا تظهر الإعجاز إلا بتلك الطريقة الإعجازية التي وُظّفت بها في النص القرآني ، ووجودها في المكان المناسب ، ومدى قدرتها على إيصال المعنى دونما تكلّف .

وقد وقف جار الله محمود الزمخشري (ت538هـ) في تفسيره الكشاف عند الكثير من صور العدول في النص القرآني الكريم ؛ ليبين أسرارها البلاغية وقيمها الجمالية ، من ذلك قوله في الآية الكريمة ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ** ﴾ [2] : ((فإن قلت لم عدل عن (ضيِّق) إلى (ضائق)؟ قلت: ليدل على أنه ضِيق عارض غير ثابت ؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً)) [3]، وحديثه هنا كان في شكل المقارنة بين الكلمة القرآنية وبين بدائلها ، ثم بين الكلمة التي يمكن أن تقوم مقام الكلمة القرآنية ، ولكنها لم تستعمل ؛ لأنها لا تنهض بالمقصود ، ومن ثَمّ يكون العدول القرآني سراً من أسرار إعجاز القرآن ، عدولاً غير صادر من مثل ما يصدر عن البشر في شعرهم أو نثرهم .

ومن أوجه إعجاز القرآن الكريم العشرة التي ذكرها القرطبي في تفسيره (ت684هـ) نظمه البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرهم وأسلوبه

1- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، (د.ت) : ص35 .

2- سورة هود : الآية (12) .

3- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل عبد الموجود وآخريْن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 ، 1998 م ، 186/3 .

المخالف لجميع أساليبهم وجزالته التي لا تصح من مخلوق بحال من الأحوال في كل سورة من سوره ، وبهذه الأوجه الثلاثة وقع التحدي والتعجيز [1] .

ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة تبحث في بيان الأسرار البلاغية لعدول الأفعال في الربع الأخير من القرآن الكريم ، وبيان دلالاتها المختلفة من خلال السياق ، ودقة اختيارها ، وأثرها في المعنى ، فكلام المولى ﷻ لا يضاهيه كلام البشر ، غير أن كل دراسة لموضوع من موضوعاته ستبقى قاصرة عن الوصول إلى سمو الكتاب وعظمته، وفهم المراد من آياته ؛ ((ولعل هذا ما يفسر حرص المفسرين على ذكر عبارة التذييل الاحترازية (والله أعلم) عقب أي تأويل اجتهادي يقدمونه لنص قرآني ما))[2].

1- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : عبد الله التركي ، محمد عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2006م ، 1/116-117 .

2- أسلوبية الانزياح في النص القرآني ، أحمد الخرشة ، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، كلية الآداب ، 2008م ، ص34 .

الفصل الثاني

العدول في بناء الأفعال

مدخـــل

المبحث الأول:

العدول الاستبدالي

المبحث الثاني:

العدول التركيبي

مـــدخـــل

يسمى الفعل مع الفاعل مبنيًّا للمعلوم ؛ لأن فاعله مذكور في الجملة ، وعليه فهو معلوم ، ويسمى الفعل مع نائب الفاعل مبنيًّا للمجهول ؛ لأن فاعله حُذف فصار مجهولاً .

وقد قسّم النحاة الأفعال بالنسبة لبنائها للمجهول من عدمه إلى ثلاثة أقسام :

1- قسم لا خلاف في جواز بنائه للمجهول ، وهو الفعل المتصرف التام ، مثل : ضرب ، اعترف ، يستعين .

2- قسم لا يجوز بناؤه للمجهول باتفاق النحاة ، يضم الأفعال الجامدة مثل : نعم وبئس ، وأفعال التعجب ، والأفعال الخاصة بالطباع مثل : كَرُم ، شجع ، والأفعال الدالة على الألوان والعيوب الخلقية مثل : احمرّ ، اعورّ ، كذلك لا يصاغ من فعل الأمر ؛ لأن الأمر لا يكون إلا للمخاطب ، والمبني للمجهول غائب ، ولأن حدثه لم يوجد بعد حتى يتعلق بمفعول أو غيره بخلاف الماضي والحاضر فهما متعلقان بما ذكر ، فجاز حذف فاعلهما والاستغناء عنه ، والاكتفاء بمتعلقه .

3- قسم فيه خلاف بين النحاة ، وهو كان وأخواتها المتصرفة ، بعضهم أجاز بناءه للمجهول كأبي زكريا الفرّاء (ت207هـ) ، والبعض قال بعدم جواز ذلك كأبي عبدالله بن مالك (ت672هـ) .

ومن ثم إذا بُني الفعل للمجهول وحذف الفاعل وأقيم المفعول أو ما يقوم مقامه بدلًا استوجب ذلك تغييرات في الفعل سواء أكان ماضياً أم مضارعاً ، حتى تصير صيغته مغايرة للصيغة الأصلية .

أولاً / الفعل الماضي :

- إذا بُني الفعل الماضي للمجهول ضُمَّ أوله وكُسِر ما قبل آخره ، ثلاثياً كان أو زائداً عليه .
- وإذا كان مبدوءًا بتاء المطاوعة ، ضُمَّ أوله وثانيه معاً ، وكُسِر ما قبل آخره مثل : تُدُحرِج .
- وإذا بُدئ الفعل بهمزة وصل ، ضُمَّ أوله وثالثه ، مثل اُقْتُدر .
- وإذا كان ثلاثياً معتل العين ، كقال ، أو على وزن افتعل مثل اختار ،أو على وزن انفعل مثل انزاح ، أو كان الفعل مضعّفاً مثل عدَّ ، جازت فيه وجوه ثلاثة هي :

1- كسر فاؤه ، وقلب الألف ياءً لوقوعها بعد الكسرة ، نحو : قيل ، اختير ، عِدَّ .

2- ضم الفاء ، وقلب الألف واوًا لوقوعها بعد الضمة ، نحو : قُوِل ، اختور ، عُدَّ .

3- إشمام الفاء ، وهو الإتيان بحركة بين الضمة والكسرة نطقاً دون كتابة .

- وإذا كان في الفعل الماضي ألف المفاعلة ، قلبت واوًا بضم ما قبلها نحو : جُوهِد .

ثانياً / الفعل المضارع :

لبناء الفعل المضارع للمجهول يُضم أوله ، ويُفتح ما قبل آخره .

- وإذا كان الفعل أجوف ، فإنه يضم أوله ويفتح ما قبل حرف العلة ، فإذا كان حرف العلة ألفاً بقي كما هو ، فيقال : يُختار ، أما إذا كان حرف العلة غير الألف فإنه يقلب ألفاً ، نحو : يُقال ، يُستعاد .
- وإذا كان آخر المضارع واوًا أو ياءً قلبت عند البناء للمجهول ألفاً ، نحو : يُدعى ، يُرمى .
- وإذا كان الفعل مضعّفاً يُضم أوله ، ويُفتح ما قبل حرف التضعيف نحو : يُمتد ، يُعد .

ويعدل النص القرآن الكريم عن صيغة المبني للمعلوم إلى صيغة المبني للمجهول والعكس ؛ لتحقيق أغراض بلاغية لا تتحقق بورود كل منها على الأصل ، وسيتبين ذلك فيما يأتي .

المبحث الأول

العدول الاستبدالي

العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول

المبحث الأول : العدول الاستبدالي

العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول

يقتضي النظام اللغوي في الأصل ذكر الفاعل باعتباره ركنًا في الإسناد ، لكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يُسقطه اعتماداً على دلالة القرائن ، ووجود السياق الذي يترجح فيه حذفه[1] ؛ لتحقيق فائدة بلاغية لا تتأتى بذكره .

وقد حاول علماء البلاغة حصر الأغراض أو الأسباب الداعية لحذف العنصر من الكلام في نقاط محددة ،وحتى يتيسر لهم ذلك قسموها إلى مجموعتين :

1-الأغراض اللفظية ، وتشمل : 1) قصد الإيجاز 2) إرادة السجع 3) إقامة الوزن

2-الأغراض المعنوية ، وتضم : 1) العلم بالفاعل 2) الإخبار عن المفعول

3) تعظيم الفاعل 4) تحقير الفاعل 5) مناسبة السياق

6) الرغبة في الإبهام 7) الجهل بالفاعل

8) الخوف من الفاعل أو عليه 9) قصد العموم .

ولا بد من التنبيه هنا على أن حذف الفاعل قد يكون ناتجاً عن عدة أغراض أو أسباب[2]، ومن ثم فالتمثيل الذي سيرد في السياق التالي لا يعني أن الغرض من الحذف مقصور على ما تم ذكره ؛ بل إنه قد يكون ناتجاً عن سبب أو أسباب أخرى

1- ينظر : البلاغة والأسلوبية ، ص322-323 .

2- ينظر : ما لم يُسَمَّ فاعله في القرآن الكريم ، كريمة مصطفى السيد أمير ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، 2001 م ، ص164 .

تضاف إلى السبب المذكور، ((فالأغراض ليست تقعيداً منطقياً مقنناً ، وإنما هي مواقف فنية ندركها من الموقف كله ، فقد تكون هنالك أغراض أعمق وأدق من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني لنسق التركيب من داخل العمل نفسه ، ومن هيئته الفنية الخاصة به)) [1] .

وسأورد طائفة من الآيات التي حذف فيها الفاعل وبني فعله للمجهول ، محاولة بيان الغرض من وراء هذا الحذف ، مستعينة في ذلك بآراء علماء التفسير والبلاغة .

1- يشكل بناء الفعل للمجهول ظاهرة أسلوبية في كل الآيات التي وصفت اليوم الآخر [2] ، وما يصحبه من أحداث جسام ، مما ((يدل على العمد المقصود به ما نسميه التلقائية والإقناع النفسي بأن الكون كله مهيأ يومئذٍ للحدث الخطير ، وأن الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث ....)) [3] ، ومن ذلك : قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً ۝ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ ﴾ [6] ، وقوله : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ۝ وَفُتِّحَتِ

1- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط2 ، (د.ت) ، ص81 .

2- ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة بنت الشاطئ ، دار المعارف ، ط7 ، 1977 م ، 83/1 .

3- السابق : 81/1 .

4- سورة الواقعة : الآيتان (4-5) .

5- سورة الحاقة : الآية (12) .

6- سورة المرسلات : الآيات (8-10) .

ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴿٢١﴾ ﴾[5]، وقوله : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾[6] ، وقوله : ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾[7] .

ففي هذه الآيات وغيرها آثر السياق القرآني بناء الفعل للمجهول ، وحذف الفاعل ؛ لصرف الذهن إلى الحدث العظيم ، وهو قيام الساعة .

1- سورة النبأ : الآيات (18-20) .
2- سورة التكوير : الآيات (1-14) .
3- سورة الانفطار : الآيات (1-5) .
4- سورة الانشقاق : الآيات (1-3) .
5- سورة الفجر : الآية (23) .
6- سورة الزلزلة : الآية (1) .
7- سورة العاديات : الآيتان (9-10) .

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت1973م) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [1] : ((بني (يُنفخ) للمجهول ؛ لعدم تعلق الغرض بمعرفة النافخ ، وإنما الغرض معرفة هذا الحدث العظيم ، وصورة حصوله)) [2] ، وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] : بنى الفعل للمجهول ((لعدم الغرض ببيان مبرزها ، إذ الموعظة في الإعلام بوقوع إبرازها يومئذ)) [4] .

وقد وردت معظم الأفعال في المواضع السابقة بصيغة الماضي ، لتقرير أن الفعل واقع لا محالة [5] ، وقد صُدِّر بـ (إذا) فصرفته إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي ، بدلاً من المستقبل الصريح ؛ لأن ((المباغتة في (إذا) لها أثرها البياني في هذا الموقف ، وهذه أيضاً ظاهرة أسلوبية ، تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر الذي يأتي بغتة ، إمعاناً في الترهيب)) [6] .

2- قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [7] ، بُني الفعل (قيل) للمجهول للإبهام الذي قصد به التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على

1- سورة النبأ : الآية (18) .

2- التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د.ط) ، 1984 م : 31/30 .

3- سورة النازعات : الآية (36) .

4- التحرير والتنوير : 91/30 .

5- ينظر : الفعل الماضي زمنه ودلالته في القرآن الكريم ، عبر إشارات المفسرين ، سورة البقرة أنموذجًا ، مريم التريكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، 2014م ، ص15،61 .

6- التفسير البياني للقرآن : 83/1 .

7- سورة الزمر : الآية (72) .

حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا : ((الحمد لله رب العالمين)) [1] ، وتأكّد هذا بقوله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَاسَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ [2] .

3- ومن التراكيب المبنيّة للمجهول التي شاع مجيئها في السياق القرآني ((قُضي الأمر)) فجرى مجرى المثل [3] ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾[5] ، وقوله : ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[6] .

بني الفعل (قضي) للمجهول هنا للعلم وتعظيمًا للفاعل ، قال بدر الدين الزركشي: ((حذف الفاعل تعظيماً له إذ كان الذي قضاه عظيم القدرة)) [7].

4- وقد يُؤثِر السياق الكريم أسلوب البناء للمجهول لإفادة الدعاء باللعنة والسخط على الكافرين والمنافقين ، وقد كثر ورود الفعل ((قُتل)) لإفادة هذا الغرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ﴾ [8] ، قال الفرّاء : ((أي : لُعن الكذّابون الذين

1- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم ، شرف الدين الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ، 1999 م ، ص99 .

2- سورة يونس : الآية (10) .

3- ورد في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم ، ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1996 م ، ص656 .

4- سورة الشورى : الآية (19) .

5- سورة الشورى : الآية (12) .

6- سورة الزمر : الآية (72) .

7- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط2 ، 1972 م ، 144/3 .

8- سورة الذاريات ، الآية (10) .

قالوا : محمد ﷺ مجنون ، شاعر ، ساحر ، فقد خرصوا ما لا علم لهم به)) [1] ، وذكر الزمخشري أنه ((دعاء عليهم ، وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ، ثم جرى مجرى " لُعن " و " قُبح ")) [2] ، فالله ﷻ يدعو عليهم بالقتل ، ودعاء الله بالقتل قضاء به، ومثله قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ [3] .

ومنه أيضاً قوله : ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [4] ، يقول الفرّاء : ((قُتل بمعنى لُعن)) [5] وذكر الزمخشري : ((أنه تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحزِّ ، ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش ، أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به ، أو هي حكاية لما كرروه من قولهم ((قُتل كيف قدّر)) تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره ، واستعظامهم لقوله ، ومعنى قول القائل : قتله الله ما أشجعه ! وأخزاه الله ما أشعره ! : الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك)) [6] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [7] ، بُني الفعل للمجهول للدعاء على الإنسان ، و (ما أكفره) تعجّب

1- معاني القرآن ، أبو زكريا الفرّاء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخران ، الهيئة العامة للكتاب ، (د.ط)، 1955 م ، 83/3 .

2- الكشّاف : 611/5 .

3- سورة البروج ، الآية (4) .

4- سورة المدثر ، الآيات (18-20) .

5- معاني القرآن : 202/3 .

6- الكشاف : 256/6 .

7- سورة عبس : الآيتان (17-18) .

من إفراطه في كفران نعمة الله ؛ أي : ما أشدّ كفره وجحوده ونكرانه لمقتضيات نشأته وخلقته !

يقول الزمخشري في بيان هذا الأسلوب : ((ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ، ولا أخشن مساً ، ولا أدل على سخط ، ولا أبعد شوطاً في المذمة ، مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه)) [1] ، حقًّا لقد حقّقت هذه البنية النصية أكثر من دلالة ، منها دلالة الدعاء الذي يفيد التحقير والتهديد ، وأفادت أنه يرتكب ما يستوجب القتل بشناعته وبشاعته .

5- وفي قوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ ﴾ [2] ، بني الفعل (يُسقون) للمجهول ؛ ليتركز الانتباه في الحدث (السقيا) ، وبيان أثر النعيم الذي يعيشه أهل الجنة ، ولوصف الراحة والمتعة وبهجة النعيم ، فلا حاجة لذكر الفاعل الذي قد ينشغل الفكر به ، فينصرف عن الغرض المقصود ، لذلك ((عبر بـ(يسقون) دون : يشربون ، للدلالة على أنهم مخدومون يخدمهم مخلوقات لأجل ذلك في الجنة ، وذلك من تمام الترفه ولذة الراحة))[3] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧﴾[4] ، وسيأتي الحديث عنها في المبحث القادم .

وشبيه بهذا قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ [5] ، لكن السقيا

1- الكشاف : 316/6 .

2- سورة المطففين : الآية (25) .

3- التحرير والتنوير :205/30 .

4- سورة الإنسان : الآية (17) .

5- سورة الغاشية : الآيات (1-5) .

هنا من ماء شديد الحرارة ﴿ كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، لذلك لا يُقدم عليه المذنبون بأنفسهم ، وإنما لا بد من إرغامهم على شرب هذا الماء الحميم الذي يقطع الأمعاء ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] ، لذلك فإن حذف الفاعل ((أبلغ من ذكره ؛ ليترك الذهن يتخيل هؤلاء الذين يرغمون العاصين على تجرّع هذا النوع من العذاب الأليم))[3] ، ويتركّز الانتباه على تخيّل حال المذنبين وهم يُسقون الماء الحميم .

1- سورة الدخان : الآية (43) .

2- سورة محمد : الآية (16) .

3- لغة القرآن ، محمود أحمد نخلة ، دار النهضة ، بيروت ، (د.ط) ، 1981 م ، ص392 .

المبحث الثاني

العدول التركيبي

المطلب الأول : العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول

المطلب الثاني : العدول عن البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم

المبحث الثاني : العدول التركيبي

المطلب الأول : العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول

من ذلك:

1- في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ ﴾ [1] ، ورد الفعلان (كذبوا ، قالوا) بالبناء للمعلوم ، ثم عدل عنه إلى البناء للمجهول في الفعل (ازدُجر) .

وردت هذه الآية في سياق تسلية الرسول الكريم ﷺ وتصبيره على ما لحقه من أذى المشركين بعرض صورة من معاناة الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[2] ، وهي معاناة نوح عليه السلام مع قومه ، فقد كذبه قومه ، وافتروا عليه ووصفوه بالجنون ، وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجل في قولهم ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾[3] ، مما جعله يستغيث ربه بقوله : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ ﴾ [4] ، وإنما دعا عليهم بعدما يئس منهم ، وتفاقم أمرهم [5] .

1- سورة القمر ، الآية (9) .

2- سورة فاطر ، الآية (4) .

3- سورة الشعراء ، الآية (116) .

4- سورة القمر ، الآية (10) .

5- ينظر : الكشاف ، 656/5 ، الجامع لأحكام القرآن ، 80/20 ، التحرير والتنوير ، 180/27 .

ويُجوّز السياق فاعلين اثنين للفعل المجهول (ازدُجر) : أولهما ، الله سبحانه وتعالى فيكون الفعل معطوفاً على الفعل (قالوا) وكلاهما محكي عن الله سبحانه ، أي : انتهروه وزجروه بالسب والتخويف [1] .

وثانيهما ، قوم نوح ، فيكون الفعل (ازدجر) معطوفاً على اسم المفعول (مجنون)، ويكون المتعاطفان معاً مؤسِّسَين لجملة مقول القول المحكية عن قوم نوح، والمعنى : أن قوم نوح قالوا عنه : إنه مجنون ، وإن الجن قد ازدجرته ، وذهبت بلبّه وتخبطته [2] ، ((والأول أصح ويترتب عليه قوله تعالى:﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[3] ترتيبًا في غاية الحسن ؛ لأنهم لما زجروه وانزجر هو من دعائهم دعا ربه أني مغلوب))[4] ؛ ولأن القول بعطف الفعل (ازدجر) على اسم المفعول (مجنون) لا يدخل ضمن هذه الدراسة ، لذلك ستقتصر الدراسة على القول بعطف الفعل (ازدجر) على الفعل (قالوا) وما تحمله ظاهرة العدول عن الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول من قيم جمالية وأسرار بلاغية .

في هذا السياق يقول الفخر الرازي (ت604هـ) : ((إن قيل : لو قال : كذّبوا عبدنا وزجروه كان الكلام أكثر مناسبة ، نقول : لا ، بل هذا أبلغ ؛ لأن المقصود تقوية قلب النبي ﷺ بذكر من تقدّمه ، فقال : وازدُجر ، أي : فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم ، حتى ترك دعوتهم وعدل عن الدعاء إلى الإيمان ، إلى الدعاء عليهم ، ولو قال : زجروه ما كان يفيد أنه تأذّى منهم ؛ لأن في السعة يقال :

1- ينظر: التحرير والتنوير ، 181/27 .

2- ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : عادل عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993 م ، 175/8 .

- روح المعاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) : 81/27 .

3- سورة القمر ، الآية (10) .

4- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1981 م ، 37/29 .

آذوني ولكن ما تأذّيت ، وأما (أوذيت) فهو كاللازم لا يُقال إلا عن حصول الفعل لا قبله)) [1] .

ومن أسرار العدول إلى صيغة المبني للمجهول تغييب ضمير الفاعل (قوم نوح) تحقيراً ، يقول محمد شكري الألوسي (ت1270هـ) : ((وطهّر الألسنة عن ذكرهم ؛ دلالة على أن فعلهم أسوأ من قولهم)) [2] ، وتغييب ضمير المفعول به (نوح عليه السلام) تنزيهاً له من أن يقع مفعولاً به لضمير قومه ؛ تشريفاً له وتكريماً ، يقول ابن عاشور : ((ونكتة بناء الفعل للمجهول هنا التوصل إلى حذف ما يُسند إليه فعل الازدجار المبني للفاعل وهو ضمير (قوم نوح) ، فعدل عن أن يقال : وازدجروه إلى قوله (وازدُجر) ؛ محاشاةً للدال على ذات نوحٍ ، وهو ضمير ، من أن يقع مفعولاً لضميرهم)) [3] .

كما أن الفعل المبني للمجهول (ازدجر) وقع موقع الفاصلة من الآية ليتوافق صوتيًّا مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة لها [4] .

وبناء الفعل للمجهول هنا حقق من الإيجاز بحذف ضمير الفاعل وضمير المفعول معاً ما لم يحققه ذكرهما في سياق الآية .

3-وفي قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً ۝٥ ﴾ [5] .

1- التفسير الكبير ، 29/36-37 .

2- روح المعاني : 27/81 .

3- التحرير والتنوير : 27/181 .

4- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، 20/80 ، وروح المعاني : 27/81 .

5- سورة الواقعة ، الآيات (1-5) .

ورد الفعل في الآية الأولى مبنياً للمعلوم لاتصال الآية الكريمة بقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾[1] ، ثم عُدل عن البناء للمعلوم (وقعت) إلى البناء للمجهول (رُجَّت ، بُسَّت) لإثارة المتلقِّي ، ولفت انتباهه إلى وقوع الحدث ، فالأرض تُرج فتتحرك حركة شديدة ينهدم بها كل شيء فوقها ، والجبال الراسية الصلبة تصبح هباءً ، فهذه المعاني المرعبة المفزعة استوجبت أن يكون الفاعل مجهولاً ليهتم المتلقي بالحدث ، وليحفّز ذهنه للبحث عن الفاعل ، فهذه الأحداث العظيمة تحتاج إلى فاعل عظيم ، وأكد الفعل في كليهما بالمصدر للدلالة على تحققه ، والتنوين للدلالة على التعظيم [2].

3- في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾ [3] ، ضمت الآيات الكريمات أربع علامات من علامات يوم القيامة : (انفطار السماء ، انتثار الكواكب ، تفجير البحار ، بعثرة القبور) ، وقد وردت أفعالها بصيغة الماضي لتحقيق وقوع المستقبل بحصول الشيء في الماضي [4] ، وسيأتي الحديث عن ذلك في المبحث الأول من الفصل القادم .

وقد جاء الفعلان الأولان بالبناء للمعلوم ، ثم عدل عن ذلك ، فورد الفعلان الأخيران بالبناء للمجهول ، فما سر هذا العدول !

1- الآية (36) ، ينظر : روح المعاني ، 128/27 .

2- ينظر : التحرير والتنوير ، 284/27 .

3- سورة الانفطار : الآيات (1-4) .

4- ينظر : التحرير والتنوير ، 172/30 .

لبيان ذلك سوف نستعين بآراء المفسرين حول هذه العلامات [1] .

(انفطرت) أي : انشقت بأمر الله لنزول الملائكة ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَّقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾﴾ [2] وقال :﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[3]، وقال : ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾[4] .

و(انتثرت) : تفرقت ، وخرجت من دوائر أفلاكها ، وبدت مضطربة في الفضاء من آثار اختلال قوة الجاذبية التي أقيم عليها نظام المجموعة الشمسية ، فعند انتقاض تركيب السماء لابد من انتثار الكواكب وسقوطها على الأرض[5] .

أما (فجرت) ففيه وجوه ثلاثة : الأول ، فتح بعضها إلى بعض وتشققت جوانبها ، فاختلط العذب منها بالمالح ، بارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخاً ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾[6] ، وحينئذٍ يصير الكل بحراً واحداً ، وإنما يرتفع ذلك الحاجز لزلزلة الأرض وتصدعها ، الثاني ، أن مياه البحار الآن راكدة متجمعة، فإذا فُجِّرت تفرقت وذهب ماؤها ، الثالث ، أنها يبست .

والوجوه الثلاثة تقتضي تغير الأرض عن صورتها الأصلية وصفتها ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [7] .

1- ينظر : الكشاف ، 329/6 ، التفسير الكبير ، 77/31 ، الجامع لأحكام القرآن ، 120/22 ، البحر المحيط ، 427/8 ، روح المعاني ، 62/30 ، التحرير والتنوير ، 170/30-173 .

2- سورة الفرقان : الآية (25) .

3- سورة الانشقاق : الآية (1) .

4- سورة الرحمن : الآية (36) .

5- ينظر : التحرير والتنوير ، 171/30 .

6- سورة الرحمن : الآية (18) .

7- سورة إبراهيم : الآية (50) .

و(بعثرت) : أثيرت وقلب أسفلها أعلاها ، وباطنها ظاهرها ، وأخرج من دفن فيها من أهلها أحياء ؛ أي أنه عند قيام الساعة تتبدل أحوال الدنيا وتتغير ، فيتلاشى قانون العلوية ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَا أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [1] ، ويرفع قانون الاستقرار ، فيفسد ((النظام الذي أقام الله عليه حركات الكواكب وحركة الأرض وذلك يقتضيه قرنه بانتثار الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور))[2] ، والسماء كالسقف والأرض كالبناء ، فإذا انشقت السماء وانتثرت الكواكب على الأرض تزلزلت الأرض وتصدعت ، فانفجرت بحارها وأنهارها واختلط عذبها بمالحها ، وقلب أسفلها أعلاها وباطنها ظاهرها ، فكل حدث من هذه الأحداث هو نتيجة لما قبله ، وسبب فيما بعده، يقول الرازي : ((واعلم أن المراد من هذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا، وانقطاع التكاليف ، والسماء كالسقف ، والأرض كالبناء ، ومن أراد تخريب دار، فإنه يبدأ أولا بتخريب السقف ، وذلك هو قوله : (إذا السماء انفطرت) ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ، وذلك هو قوله : (وإذا الكواكب انتثرت) ثم إنه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يُخرَّب كل ما على وجه الأرض وهو قوله : (وإذا البحار فجرت) ثم إنه تعالى يُخرِّب آخر الأمر الأرض التي هي البناء ، وذلك قوله: (وإذا القبور بعثرت) فإنه إشارة إلى قلب الأرض ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر))[3] .

واستخدم الرازي مادة (خرب) بصيغة الاسم والفعل أكثر من مرة ، والصحيح – في نظري – عدم جواز ذلك ، فأفعال الشر لا تسند إليه ﷻ ؛ تأدباً معه وتنزيهاً له ، وقد وردت عدة آيات تؤكد ذلك [4] .

1- سورة الحج : الآية (63) .

2- التحرير والتنوير : 171/30 .

3- التفسير الكبير :78/31.

4- ينظر : ص58 من هذه الرسالة .

إذاً فالعدول في هذه الآيات للإشارة إلى أن هذين الحدثين ليسا من خصائص البحار والقبور ، وإنهما حدثان طارئان عليهما ، واقعان بفعل قوةٍ موجهة خفية [1] .

1- ينظر : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، دراسة دلالية ، جلال عبد الله الحمادي ، رسالة ماجستير ، جامعة تعز ، كلية الآداب ، 2007 م ، ص100 .

المطلب الثاني : العدول عن البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم

من ذلك :

1- قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴿١٠﴾﴾ [1]

بُني فعل الإرادة الأول للمجهول ، فلم يقل (أشرٌ أراد بهم ربهم) ، في حين بُني الثاني للمعلوم بإسناد الفعل إلى الذات العلية ، وسر ذلك أن أفعال الخير والإحسان والنعمة تُسند إلى الله تعالى ، في حين أن أفعال الشر لا تُسند إليه ، وإن كان كلاهما مما قدّره الله تعالى وأراده ؛ على سبيل التأدّب والتنزيه له [2] ، وفي قوله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3] ما يؤكد ذلك ، إذ لم يقل (بيدك الخير والشر) ، وإن كانا جميعاً بيده وحده ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً ﴿٨٣﴾ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [5].

2- وقوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيراً ﴿١٥﴾ قَوَارِيراً مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا

1- سورة الجن ، الآية (10) .

2- ينظر : البرهان في علوم القرآن : 59/4 .

3- سورة آل عمران : الآية (26) .

4- سورة الإسراء : الآية (83) .

5- سورة القيامة : الآية (21-24) .

زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴿٢١﴾ ﴾[1]، فقد ورد الفعلان (يُطاف – يسقون) بالبناء للمجهول ثم عدل السياق الكريم عن ذلك إلى البناء للمعلوم وذكر الفاعل (يطوف عليهم ولدان– وسقاهم ربهم).

إن مقتضى الحال في الموضع الأول لا يقصد ذكر الفاعل ، وإنما القصد تركيز الدهن في الحدث ذاته ، وهو وصف ما يطاف به من الأواني دون وصف الطائفين ، وعلى النعم التي يتمتع بها المؤمن في الجنة ، وذكر أحوال البذخ والترف واللذات ، فالمهم في السياق هو ذكر النعم التي يُطاف بها ، فلذلك أسهب في وصف آنية الفضة والأكواب القوارير التي كانوا يشربون بها ؛ لأنها من جملة النعم ، كقوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [2] ، وعن ذلك يقول محمود بن حمزة الكرماني (ت505هـ) : ((قوله : (ويُطاف عليهم) وبعده (ويطوف عليهم) ، إنما ذكر الأول بلفظ المجهول ؛ لأن المقصود ما يُطاف به لا الطائفون ، ولهذا قال : (بآنية من فضة) ، ثم ذكر الطائفين فقال : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون))) [3] .

1- سورة الإنسان : الآيات (15-21) .

2- سورة الزخرف : الآية (71) .

3- أسرار التكرار في القرآن ، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، الكرماني ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة ، (د.ط) ، (د.ت) : ص244 .

وكذلك في الآية التالية لها ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً .... ﴾ فقد بني الفعل للمجهول أيضا ((لأنه الأنسب بما تقدمه من قوله تعالى :﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم ﴾)) [1] ، وليتركز الانتباه في الحدث وهو (السقيا) ولأن الفاعل ليس هو المهم في السياق ، لذلك ذكر الكأس التي يُسقون بها ، ووصف الشراب بأنه ممزوج بالزنجبيل من عين تسمى السلسبيل ، ثم عدل عن البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم وذكر الفاعل في قوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ... ﴾ ؛ لأن التركيز والاهتمام في هذا السياق منصبّ على الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية ، فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم ، فهم الولدان المخلدون ، الذين يقومون بخدمة المؤمنين ، ويقدمون لهم ما يشتهون من أنواع الأطعمة والمشروبات ، يقول ابن عاشور : ((هذا طواف آخر غير طواف السقاة المذكور آنفاً بقوله : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ فهذا طواف لأداء الخدمة ، فيشمل طواف السقاة وغيرهم)) [2] .

ثم إن إسناد السقيا إلى الله ﷻ يدل على فضل هذا الشراب ، وأنه أعلى من النوعين السابقين ، فقد قال في الأول : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝ ﴾ [3] ، ولم يذكر ساقياً لهم ، وقال في الثاني : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝﴾ ، ولم يذكر الساقي أيضاً ، وفي هذا الشراب قال : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۝ ﴾ بإسناده إلى ذات الله تعالى .

قال الرازي : ((فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ هو عين ما ذكره تعالى قبل ذلك من أنهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل أو هو نوع

1- روح المعاني : 160/29 .

2- التحرير والتنوير : 397/29 .

3- سورة الإنسان : الآية (5) .

آخر ؟ قلنا : بل هو نوع آخر ، ويدل عليه وجوه : (أحدهما) : دفع التكرار ، و(ثانيهما) : أنه تعالى أضاف هذا الشراب إلى نفسه ، فقال (وسقاهم ربهم) وذلك يدل على فضلٍ في هذا دون غيره ، (وثالثها) ما روينا أنه تقدم إليهم الأطعمة والأشربة ، فإذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون ، فيطهر ذلك بطونهم ، ويفيض عرقًا من جلودهم مثل ريح المسك ...(ورابعها) وهو أنَ الروح من عالم الملائكة ، والأنوار الفائضة من جواهر أكابر الملائكة ، وعظمائهم على هذه الأرواح مشبّهة بالماء العذب الذي يُزيل العطش ويقوي البدن ، وكما أن العيون متفاوتة في الصفاء والكثرة والقوة ، فكذا ينابيع الأنوار العلوية مختلفة)) [1] .

وجاء في روح المعاني : ((هو نوع آخر يفوق النوعين السابقين.... كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية)) [2] .

ويدل أيضاً على مكانة هؤلاء الشاربين ، قول ابن عاشور : ((وأسند سقيه إلى ربهم إظهاراً لكرامتهم ؛ أي أمَرَ هو بسقيهم)) [3] .

3- وقوله تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾[4].

بني الفعل (زُلزلت) للمجهول ؛ ((تركيزاً للاهتمام في الحدث ذاته ، وإيحاءً بأن الأرض تزلزل عن طواعية)) [5] ، ثم ((أضيف الزلزال إلى الأرض ، إذ المعنى

1- التفسير الكبير : 254/30 .

2- روح المعاني : 164/29 .

3- التحرير والتنوير : 400/29 .

4- سورة الزلزلة : الآيتان (1-2) .

5- التفسير البياني ، 82/1 .

زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جُرمها وعظمها ... ولو لم يُضِف لصدق على كل قدر من الزلزال وإن قلّ)) [1] .

ومُضِيًّا في تقرير مطاوعتها وكونها مسخرة لمثل هذا بُني الفعل (أخرجت) للمعلوم ، وأسند إلى الأرض ، وجُعل ما تخرجه أثقالاً ، وكأن الأرض مدفوعة برغبة التخفف من هذا الذي يُثقلها [2] ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ ﴾ [3] ؛ لتركيز الاهتمام على الحدث ، دون شغل السامع بمصدره أو محدثه ، ((وإسناد الإخراج مجازاً إلى الأرض مع (زُلزلت) على البناء للمجهول ، مضياً في تقرير تلقائية الحدث ، كأنه في غير حاجة إلى مُحدث ، وتركيزاً للانتباه فيه))[4].

1- البحر المحيط : 500/8 .

2- ينظر : التفسير البياني ، 85/1 .

3- سورة الانشقاق : الآيتان (3-4) .

4- التفسير البياني : 85/1 .

الفصل الثالث

العدول في بناء الزمن

مدخـــــل

المبحث الأول:

العدول الاستبدالي

المبحث الثاني:

العدول التركيبي

مدخـــل

قسم النحاة الفعل من حيث الزمن إلى ثلاثة أقسام، يقول سيبويه(ت180هـ) : ((وأما الفعل فأمثلة أُخِذتْ من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم يَنْقطِعْ)) [1] ، ثم جعلوا لكل قسم منها صيغة خاصة به، فصيغة (فعل) تدل في الغالب على حدث أنجز ، وتم في زمن ماضٍ، وصيغة (يفعل) تتردد بين الزمنين الحاضر والمستقبل ، وصيغة الأمر(افعل) تدخل ضمن الدلالة على الاستقبال .

ولهذا أخذ بعض المحدثين على النحاة القدماء تركيزهم على الزمن في صيغة الفعل ، وإهمالهم لدراسة دلالاته المختلة من خلال السياق الذي ترد فيه [2]، فالفعل الماضي (أتى) في الأمثلة التالية يشير إلى الزمن الماضي والحاضر والمستقبل على التوالي .

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُوراً ۝١﴾ [3] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ

1- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988 م ، 12/1.

2- ينظر : الزمان الدلالي ، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية ، كريم زكي حسام الدين، دار غريب ، القاهرة ، ط2 ، 2001 م ، ص208 .

- الفعل ، زمانه وأبنيته ، إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1986م ، ص18 .

3- سورة الإنسان : الآية (1) .

أَتَىٰ ﴿٨٨﴾ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [2] .

ومن ثم فقد قسم هؤلاء الباحثون الزمن إلى نوعين : زمن صرفي وآخر نحوي، أما الزمن الصرفي فهو زمن محدد ، ثابت تدل عليه الصيغة من خلال بنيتها الصرفية بعيداً عن السياق الواردة فيه ، أو من خلال الاستعمال المثالي للصيغة في السياق ، ويمكن تسميته بزمن الصيغة .

وأما الزمن النحوي ، فهو اكتساب صيغ الأفعال وظائف مغايرة في السياق ، أو دلالات زمنية جديدة ، نتيجة تفاعلات السياق والملابسات وقرائن الأحوال [3] ، ويمكن تسميته بزمن التركيب أو زمن السياق .

وأشار سيبويه إلى وقوع صيغة من الفعل موقع صيغة أخرى بقوله : ((وقد تقع (نفعل) موقع (فعلنا))) [4] ، ودرسه البلاغيون والمفسرون تحت مسمى المجاز، كأبي عبيدة، أو مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، كابن قتيبة ، أو نقض العادة كالرماني[5] ، ثم ألحقه ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) ومن بعده يحيى بن حمزة العلوي (ت749هـ) بالالتفات الذي هو((العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول))[6].

1- سورة طه : الآية (68) .

2- سورة الشعراء : الآيتان (88-89) .

3- ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 2009 م ، ص240 .

4- الكتاب : 24/3 .

5- ينظر : ص33 من هذه الرسالة .

6- الطراز : 132/2 .

يقول العلوي : ((وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير ، ولاشك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع ، وقد يكون على عكس ذلك ، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره)) [1] .

ولاشك أن هذا العدول في استعمال صيغ الأفعال إنما يكون لغرض بلاغي يقصده المتكلم ، لا يأتي من جريان الكلام على ظاهره ، لكونه من أشكل ضروب البيان .

يقول ابن الأثير : ((واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة ، الذي اطلع على أسرارها ، وفتش عن دفائنها ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكل ضروب البيان ، وأدقها فهماً ، وأغمضها طريقاً)) [2] ، وقد رجّح بعضهم بهذا النص أنه أراد صيغ الأفعال [3] .

وقد برزت هذه السمة الأسلوبية في نماذج عديدة من النص القرآني الكريم، مكسبة التعبير معانيَ بلاغية وقيم جمالية بكسرها نمطية الأداء ؛ لتحقيق فائدة لا تقف عند لفت انتباه فقط ، وإنما تتنوع وتتشعب مستعصية على التحديد والضبط ، ولهذا فإنه يقع تارة ضمن دائرة العدول الاستبدالي ، وتارة أخرى ضمن دائرة العدول التركيبي ، الأمر الذي يجعل تناول صوره على سبيل الاستقصاء أمراً فوق طاقة هذا

1- الطراز : 132/2 .

2- المثل السائر : 180/2 .

3- ينظر : مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ظافر بن غرمان العمري ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 2004 م ، ص50 .

الفصل ، لذلك سأكتفي بتناول أبرز المجالات التي تحقق فيها هذا النوع من العدول، محاولة الوقوف إزاء بعض الأمثلة والشواهد التي تنتمي إليه ، موضحة بعض ما تومض به هذه الأمثلة من قيم وأسرار .

المبحث الأول

العدول الاستبدالي

المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي

المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع

المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمر

المبحث الأول : العدول الاستبدالي

المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي

الفعل الماضي هو ما دلّ على حدوث شيء قبل زمن التكلم [1] ، إلا أنه قد يعدل عن صيغته إلى صيغة المضارع ؛ لفائدة بلاغية يقصدها المتكلم ، كما سيتضح فيما يأتي :

العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع :

يعدل عن إيراد صيغة الفعل الماضي إلى صيغة المضارع استحضاراً لصورة الحدث ، لجعله ماثلاً أمام عين المخاطب حتى كأنه يشاهدها ، يقول ابن القيم الجوزية (ت751هـ) عن ذلك : ((قصدت العرب بالإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ؛ لأن الإخبار بالفعل المضارع إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي))[2].

وذكر ابن الأثير أن الفعل المضارع ((أشد تخيُّلاً ؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه)) [3] .

1- شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي قدّم له وعلّق عليه : محمد عبد المعطي ، خرّج شواهده : أحمد المصري ، دار الكيان ، الرياض ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص56 .

2- كتاب الفوائد ، المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، تصحيح : السيد محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، مصر ، (د.ط) ، 1327 هـ ، ص32 .

3- المثل السائر : 183/4 .

ومن أمثلة ذلك في النص القرآني الكريم ما يلي :

1- قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [1] .

في الآية إخبار عما حدث بين الملأ الأعلى في أمر السجود لآدم عليه السلام ، وهو أمر مضى ، لكنه عبر بصيغة المضارع (يختصمون) ، حكاية للحال الماضية واستحضاراً لغرابة الصورة [2] ؛ وذلك لأن حديث الملائكة أمر مستغرب ، لكونهم مشتغلين بما كلّفوا به من عند الله من أقوال ، قال تعالى : ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۝٣٨﴾ [3] ، وقوله : ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۝٥﴾ [4] ، ومن أعمال قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [5] ، ولا يصرفهم عن ذلك شيء فهم ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [6] ، فإذا حدث أن وقع حديث في أمرٍ ما فإن ذلك عائد إلى عظمة هذا الحديث ، أو إلى عظمة ذلك الأمر الذي تحدثوا فيه وغرابته .

2- قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [7] .

1- سورة ص : الآية (68) .
2- ينظر : روح المعاني : 24/23 ، التحرير والتنوير : 298/23 .
3- سورة فصلت ، الآية (37) .
4- سورة الشورى ، الآية (3) .
5- سورة النحل ، الآيتان (49-50) .
6- سورة التحريم ، الآية (6) .
7- سورة الشورى ، الآية (1) .

عبّر بصيغة المضارع (يوحي) ليدل على استمرار الوعد من الله لنبيه بألاّ يتقطع الوحي مدة حياته ﷺ ، قال ابن عاشور : ((العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في قوله (يوحي) للدلالة على أن إيحاءه إليه متجدد لا ينقطع في مدة حياته الشريفة ، ليبأس المشركون من إقلاعه ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَاۖ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً ﴾ [2] ، إذ لا غرض في إفادة معنى التجدد هناك .

3- قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3] .

يدل الفعلان (يصرون ، يقولون) على استمرار إصرار أصحاب الشمال على الذنب العظيم في الماضي ، واستمرار قولهم هذا فيه أيضاً ، فصيغة المضارع دلّت على حَدَثَيْ الإصرار والقول ، أما (كان) فدلّت على وقوع هذا الحدث في الماضي[4].

4- وفي قوله تعالى : ﴿۞ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [5] .

اشتملت الآية الكريمة على أحداث ماضية عبّر عنها بصيغة المضارع ، وهي (تجادلك ، وتشتكي ، ويسمع) وظاهرها يقتضي أن تكون على صيغة الماضي

1- سورة الشورى ، الآية (49) .

2- سورة الشورى ، الآية (5) .

3- سورة الواقعة : الآيتان (49-50) .

4- ينظر : مجلة علوم اللغة ، الدلالة الزمنة لصيغة الماضي في العربية ، محمد رجب الوزير ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، 1998 م ، دار غريب ، القاهرة ، ص119 .

5- سورة المجادلة ، الآية (1) .

(جادلتك ، واشتكت ، وسمع) ، خاصة وأنها جاءت مسبوقة بالفعل الماضي المركب من(قد) و(سمع) ، وهو تركيب يجعله النحاة دالاً على الماضي القريب من الحاضر[1] ، لكنه عدل عن ذلك استحضاراً لصورة الحدث .

وقد وقف المفسرون عند أحدها ، وهو قوله : (يسمع) فحمل بعضهم صيغة المضارع على معنى استمرار وتجدد السماع بتجدد التحاور[2]، للاعتناء بذلك التحاور ، في حين جعله البعض الآخر ((لاستحضار حالة مقارنة علم الله تعالى لتحاورهما ، زيادة في التنويه بشأن ذلك التحاور)) [3] ، والظاهر أن هذا المعنى هو المقصود ، والله تعالى أعلم .

5- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [4] .

قال بهاء الدين السبكي (ت773هـ) : (((قد تعلمون) المراد به المضي وعبّر بالمضارع لاستصحاب الحال)) [5] ، والمراد بالحال هو علمهم بكونه مرسلاً من الله إليهم ، فهم يؤذونه في حالٍ صاحب فيهم آذاهم له علمهم بأنه رسول من الله إليهم ، والفعل المضارع (تعلمون) أفاد ما لا يفيده (علمتم) ؛ لأن علمهم برسالته متجدد

1- ينظر : الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، بكري عبد الكريم ، دار الفجر ، القاهرة ، ط1 ، 1997 م ، ص104 .

2- ينظر : روح المعاني : 3/28 .

3- التحرير والتنوير : 9/28 .

4- سورة الصف : الآية (5) .

5- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، تحقيق : خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2001 م ، 80/3 .

لتزامنه مع نزول الوحي والآيات عليه ، وقد أفاد أيضاً معنى التحقيق بوقوعه موقع الماضي المحقق بعد (قد) [1] .

ومما ورد فيه هذا النوع من العدول قوله تعالى : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [2] ، وقوله : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾ [3].

1- ينظر : مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ص226 ، ص235 أيضاً .

2- سورة الحجرات : الآية (7) .

3- سورة الحاقة : الآية (5-6) .

المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع

يعرِّف النحاة الفعل المضارع بأنه ما دلّ على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده [1] ، أي أن زمنه يكون للحال والاستقبال ، وذلك إذا لم توجد قرينة تقيّده بأحدهما ، وهو للحال أقرب ؛ لأن اللفظ إذا كان صالحاً للزمن الأقرب والأبعد فالأقرب أولى ، والحال أقرب من المستقبل ، ومن جهة أخرى فلأن الأصل أن يكون للحال صيغة تخصه ، كما للماضي صيغة الفعل الماضي ، وللمستقبل صيغة فعل الأمر [2] .

وليس المراد بالحال عند أهل العربية الآن – الزمان الفاصل بين الزمن الماضي والمستقبل – بل هو أجزاء من أواخر الماضي وأوائل المستقبل مع ما بينهما من الآن ، ولهذا يقولون : (زيد يصلي) مع أن بعض أفعال صلاته ماضٍ وبعضها باقٍ [3] .

وقد يعدل عن استخدام هذه الصيغة إلى صيغة الماضي أو الأمر ؛ لتحقيق فائدة بلاغية لا تحققها صيغة المضارع .

أولاً / العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي :

يقول ابن القيم : ((الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يُوجد

1- شذا العرف : ص56 .

2- ينظر : الأفعال في القرآن الكريم ، دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته ، عبد الحميد السيد ، دار الحامد ، عمان ، ط1 ، 2007 م ، ص25 .

3- ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، دار الفكر، (د.ط) ، (د.ت) ، 59/1 .

بعد كان أبلغ وآكد ، وأعظم موقعًا ، وأفخم بياناً ؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها)) [1] .

وأغلب ما ورد من الأمثلة لهذا العدول جاء في تصوير مشاهد يوم القيامة [2] للدلالة على إثبات وقوع الحدث ، ولا بد من التصديق بوقوعها ، شأنها شأن التصديق بوقوع الفعل الماضي الذي لا ينكر وقوعه عاقل ، كيف لا ، والمتحدث هو الله ﷻ الآمر القاضي بكل ما سيحصل يومئذ .

يقول فاضل السامرائي : ((والقصد من ذلك أن هذه الأحداث متحققة الوقوع ، مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي ، فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تمّ وحصل ، كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال ، إذ هي بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع)) [3] .

ومن أمثلة ذلك :

1- قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْۓءَ بِالنَّبِيِّـۧنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ... إلى آخر السورة ﴾ [4] .

1- كتاب الفوائد المشوق : ص33 .

2- ينظر : الالتفات في القرآن الكريم ، صدام حسين الدليمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 2006 م ، ص158 .

3- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر، عمّان ، ط5 ، 2011م ، 275/3 .

4- سورة الزمر : الآيات (65 إلى آخر السورة) .

تصف الآيات الكريمة مشاهد يوم القيامة من النفخ في الصور ابتداءً حتى تساق كل زمرة إلى مكانها العادل الذي كتبه الله لها ، وقد جاءت الأفعال في سياق هذا التصوير بلفظ الماضي ، للدلالة على تحقق وقوع هذه الأحداث وتأكيدها ، وأن حصولها أمر مقطوع به [1] .

والتعبير بالماضي عن المستقبل في هذا السياق صوّر هذا المشهد للسامع كل حدث فيه ، حتى كأنه حاضر مشاهد له ، خاصة وأن هذه الحقائق موضع مجاذبة ؛ لأنها معتقدات بغيب ، فهي صور غريبة على النفوس الأرضية التي لا تؤمن إلا بما يدنو من حسها مما يدور في آفاقها المحدودة [2] .

ويُستثنى من الأفعال الماضية الواردة في الآيات السابقة الفعل (وفتحت أبوابها) في قوله : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [3] ، لأنه يدل على المضي لا الاستقبال ، فأبواب الجنة مفتوحة دائماً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ ﴾ [4] ، وكذلك جيء بالواو في (وفتّحت) كأنه قيل : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها [5] .

1- ينظر : الكشاف : 323/5 وما بعدها ، البحر المحيط : 423/7 ، البرهان في علوم القرآن : 372/3، التحرير والتنوير : 64/24 .

2- ينظر : خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط4 ، 1996 م ، ص267 .

3- سورة الزمر : الآية (70) .

4- سورة ص : الآية (49) .

5- ينظر : الكشاف : 325/5 .

2- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] .

عدلت الآية الكريمة عن صيغة المضارع (يرون) إلى صيغة الماضي (رأوا) ؛ لدلالة الماضي على تحقق الوقوع وتأكيده ، قال السبكي : عبر بالماضي ((للإشارة إلى استحضار التحقق ، وأنه من شأنه – لتحققه – أن تعبر عنه بالماضي وإن لم ترد معناه)) [2] ، أي أن صيغة الماضي جيء بها لتبيّن التحقق بلا نظر لمدلولها الزمني ، أو أن يكون المراد من الحدث المعبَّر عنه بالماضي وإن كان مستقبل الوقوع ، فإنه نزل منزلة الماضي ، لا من جهة لفظ الصيغة ، بل من جهة الحدث ، ولهذين الاحتمالين أو لأحدهما دون الآخر جعل السبكي صيغة الماضي لا يراد بها التعبير عن المستقبل لكيلا يفهم منه ما عرف عن المستقبل من كونه داخلاً في حيز الاحتمال [3] .

3- ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [4] ، ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[5] ، وقوله :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴿٢٠﴾ ﴾[6].

تتحدث الآيات السابقة عن أحداث يوم القيامة ، ووردت الأفعال فيها بصيغة الماضي (نفخ ، جاءت ، اقتربت ، انشق ، رأيت) ؛ لدلالة الماضي على تحقق

1- سورة الشورى : الآية (41) .

2- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : 387/1 .

3- ينظر : مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ص86 .

4- سورة ق : الآيتان (20-21) .

5- سورة القمر : الآية (1) .

6- سورة الإنسان : الآية (20) .

الأمر وتأكيد وقوعه ، فالأحداث وإن كانت مستقبلية الوقوع ، فإنها نزلت منزلة الماضي المحقق ، على أن يكون معنى الفعل (انشق) في الآية الثانية سينشقّ يوم القيامة [1] ، لا على القول بوقوع انشقاق القمر ؛ لأنه يصرف الفعل للماضي [2] .

ثانياً / العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الأمر :

من الواضح أن استعمال صيغة الأمر موضع المضارع قليل بالنظر إلى استعمال صيغة المضارع موضع الأمر – كما سيتبين في المطلب التالي من هذه الدراسة – ولذلك فإن شواهده قليلة أيضاً ، ((فلم يرد في الآيات القرآنية إلا في موضع واحد)) [3] ، وهو قوله تعالى : ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّيَ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [4] ، وقد وقف عندها العديد من الباحثين بالدراسة والتحليل[5] ، فلا داعي لدراستها هنا ، خاصة وأن هذه الدراسة تختص بالربع الأخير من القرآن الكريم .

1- ينظر : الكشاف : 653/5 .

2- ينظر : التفسير الكبير : 29/29 .

3- مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ص79 .

4- سورة هود : الآية (54) .

5- ينظر : أسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص149 ، الالتفات في القرآن الكريم ، ص171 ، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص183 ، مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ص80 .

المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمر

فعل الأمر هو : ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم [1] ، وفعل الأمر شأنه شأن غيره من الأفعال لا يتقيّد بمعنى واحد يدور معه حيث ورد ، بل يخرج إلى معانٍ مجازية [2] أشهرها : الإباحة ، والدعاء ، والتهديد ، والتوجيه ، والإرشاد ، والتكذيب ، والإكرام ، وغيرها من المعاني التي حفلت بها كتب البلاغة ، ولا مجال لدراستها هنا ، أما زمنه فهو المستقبل أبداً ؛ لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل ، كقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [3] ، وذلك باعتبار الحدث المأمور به ، أما باعتبار الأمر والطلب الصادر من المتكلم ، وملاحظته وقت الكلام نفسه ، فزمنه الحال [4] .

وأبرز الفوارق بين صيغة الأمر وصيغتي الماضي والمضارع أنها صيغة إنشائية ، وهما صيغتان خبريتان ، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب ، أما الإنشاء فليس كذلك ، فالجملة ((الإنشائية ليس القصد منها إفادة أن محتواها يطابق النسبة الخارجية ، وإنما القصد إلى إنشائها)) [5] ، وعليه فإن استعمال صيغة الخبر في مقامٍ ما جائز عليه الصدق والكذب لذاته ، أما كلام الله تعالى فإنه لا يحتمل إلا الصدق ، لذلك فإن إيراد الأمر على طريقة الإخبار يكون إما ثقة في امتثال

1- شذا العرف : 57 .

2- ينظر : معاني النحو ، 26/4 .

3- سورة الأحزاب : الآية (1) .

4- ينظر : حاشية الصبان : 59/1 .

5- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2 ، 1987 م ، ص185.

المخاطب لأداء ما كُلّف به ، وإما لحمل المخاطب على فعل الأمر لكيلا يكون الإخبار المذكور مظنة الكذب بعدم امتثال المخبر عنه لمضمون الخبر ، حين يقع الخبر موقع ما يحتمل الصدق والكذب .

أولاً / العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة الماضي :

من المعلوم أن صيغة فعل الأمر هي الصيغة الأصلية في الدعاء ، لكن قد يعدل عنها إلى صيغة الماضي لما فيها من معنى تحقق الأمر وتأكيد وقوعه ، فيأتي السياق كأنه إخبار عن حدث تحقق ووقع في الماضي ، وذلك لأن صيغة الأمر لما كانت مستقبلة كانت في حكم ما يحتمل الوقوع وعدمه ، وعليه فلزوم الحدث المراد إيقاعه بصيغة الماضي كان ذلك إخباراً بأن المأمور ممتثل لما أمر به من الفعل .

1- وفي قوله تعالى : ﴿ **بَل عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** ۝١٢ ﴾ [1] ، ورد الفعل (عجبتَ) في معنى الأمر ، والمخاطب هو النبي ﷺ ، قال ابن عاشور : ((قرأ الجمهور (بل عجبتَ) بفتح التاء للخطاب ، والخطاب للنبي ﷺ المخاطب بقوله : (فاستفتهم) ، وفعل المضي مستعمل في معنى الأمر ، وهو من استعمال الخبر في معنى الطلب للمبالغة ، كما يستعمل الخبر في إنشاء صيغ العقود ، نحو (بعت) ، والمعنى أعجب لهم)) [2] ، أي أن النبي ﷺ خوطب وأمر بأن يعجب من أن ينكر الكفار البعث [3]، فالآية الكريمة بيّنت أنه لما علم ﷻ استجابة النبي وامتثاله لما سيؤمر به وأنه سيؤديه على الوجه المطلوب أخبر عنه بصيغة الماضي ، وكأنه حدث ووقع .

1- سورة الصافات : الآية (12) .

2- التحرير والتنوير : 96/23 .

3- ينظر : الكشاف : 204/5 .

2- ومنه قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] ، فقد عدل عن صيغة الأمر (اضرب) إلى صيغة المضي (ضرب) ، فلم يأت على طريقة نظائره بصيغة الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ [3] ، و قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [4] ، إذ صيغ بصيغة الخبر للتوسل إلى إسناده إلى الله تنويهاً بشأن المثل المضروب به [5] .

رأى الزمخشري أن (ضرب) مستعمل في معنى الأمر [6] بمعنى : اضرب لهم مثلًا ، بينما قال ابن عاشور : ((أما صاحب الكشاف فجعل فِعل (ضرب) مستعملاً في معنى الأمر... ، فكان ظاهر كلامه أن الخبر هنا مستعمل في الطلب، فقرره شارحوه الطيبي [7] والقزويني [8] والتفتازاني [9] بما حصل مجموعه : أنه أراد أن النبي ﷺ لما سمع قوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[10] عَلِمَ أنه سينزل عليه مَثَل من أمثال القرآن ، فأنبأه الله بصدق ما علِمه ، وجعله

1- سورة الزمر : الآية (28) .
2- سورة يس : الآية (12) .
3- سورة الكهف : الآية (32) .
4- سورة الكهف : الآية (44) .
5- ينظر : التحرير والتنوير : 400/23 .
6- ينظر : الكشاف : 303/5 .
7- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت 743 هـ) .
8- الخطيب القزويني (ت 739 هـ) .
9- سعد الدين التفتازاني (ت 793 هـ) .
10- سورة الزمر : الآية (26) .

لتحققه كأنه ماض ، وليلائم توجيه الاستفهام إليهم بقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ ، فإنه سؤال تبكيت ، فتلتئم أطراف نظم الكلام ، فعُدل عن مقتضى الظاهر من إلقائه ضرب المثل بصيغة الأمر إلى إلقائه بصيغة المضي لإفادة صدق علم النبي ﷺ ... فالذي دعا الزمخشري إلى سلوك هذا المعنى في خصوص هذه الآية هو رعي مناسبات اختص بها سياق الكلام الذي وقعت فيه)) [1] ، ثم قال : ((وإسناد ضرب المثل إلى الله لأنه كوّن نظمه بدون واسطة ثم أوحى به إلى رسوله ﷺ ، فالقرآن كله من جَعْل الله سواء في ذلك أمثاله وغيرها ، وهو كله مأمور رسول الله ﷺ بتبليغه ، فكأنه قال له : ضرب الله مثلاً فاضربه للناس وبيّنه لهم ، إذ المقصود من ضرب هذا المثل محاجّة المشركين وتبكيتهم به في كشف سوء حالتهم في الإشراك ... وقد يُتطلب وجهه التفرقة بين ما صيغ بصيغة الخبر وما صيغ بصيغة الطلب ، فنفرق بين الصنفين بأن ما صيغ بصيغة الخبر كان في مقامٍ أهم ؛ لأنه إما تمثيل لإبطال الإشراك ، وإما لوعيد المشركين ، وإما لنحو ذلك ، خلافاً لما صيغ بصيغة {الخبر}* فإنه كائن في مقام العبرة والموعظة للمسلمين أو أهل الكتاب)) [2] .

وقرن ابن عاشور هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [3] ، فالمثل في كليهما ينوّه بشأنه لكونه بصيغة المضي الخبرية ، ولإسناده للذات العلية ، لاشتماله على تهديد ووعيد

1- التحرير والتنوير : 400/23 .

* كذا في الأصل ، ولعله يقصد بقوله : { خلافاً لما صيغ بصيغة الخبر } صيغة الطلب .

2- التحرير والتنوير : 400/23-401 .

3- سورة النحل : الآية (112) .

للكافرين بطريقة التمثيل ، وعليه فإن إبقاءه على صيغة الأمر يفوّت هذه الفائدة ، والله أعلم .

ثانياً / العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة المضارع :

1- ومنه قوله تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ [1] .

قال ابن عاشور : ((تكرر في القرآن مثل هذا الأمر بالصفح عن المشركين والعفو عنهم والإعراض عن أذاهم ، ولكن كان أكثر الآيات أمراً للنبي ﷺ في نفسه ، وكانت هذه أمراً له بأن يبلغ المؤمنين ذلك ، وذلك يشعر بأن الآية نزلت في وقت كان المسلمون قد كثروا فيه وأحسوا بعزتهم ، فأمروا بالعفو وأن يكلوا أمر نصرهم إلى الله تعالى)) [2] ، أي أن إيقاع صيغة المضارع في الفعل (يغفروا) موقع صيغة الأمر منه ؛ للدلالة على أن المؤمنين قد سلف منهم أن غفروا للمشركين بسبب ضعفهم ، فأمرهم الله أن يستمروا في العفو لحكمة أرادها الله ﷻ بالعفو عند المقدرة .

2- قوله تعالى : ﴿ **يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾** ﴾ [3] .

ورد الفعل (تؤمنون) والفعل المعطوف عليه (تجاهدون) موقع الأمر (آمنوا ، وجاهدوا) للإيذان بوجوب الامتثال ، قال الزمخشري : (((تؤمنون) استئناف ، كأنهم قالوا : كيف نعمل ؟ فقال : تؤمنون ، وهو خبر في معنى الأمر ، ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) ، وتدل عليه قراءة (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا) ، فإن قلت : لم جيء به

1- سورة الجاثية : الآية (13) .

2- التحرير والتنوير : 338/25 .

3- سورة الصف : الآيتان (10-11) .

على لفظ الخبر ؟ قلت : إيذاناً بوجوب الامتثال ، وكأنه امتثل ، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ، ونظيره قول الداعي : غفر الله لك ، ويغفر الله لك ، جُعلت المغفرة لقوة الرجاء ، كأنها كانت ووجدت)) [1] .

وقد تكون لدلالة صيغة المضارع على التجدد والاستمرار ، أي أنه يأمر بدوام الإيمان والجهاد ، فقد ورد الإيمان بصيغة المضارع هنا لـ((التعريض بالمنافقين والتحذير من التغافل عن ملازمة الإيمان وشؤونه)) [2]، فالتعريض بالمنافقين يتضح من الأمر بالمداومة على الإيمان ، فالمؤمن الحق هو من استمر على إيمانه ، والمنافق هو من تقلب في أمره ، قال ابن عاشور : ((وأما (وتجاهدون) فإنه لإرادة تجدد الجهاد إذا استُنفِروا إليه)) [3] .

فالمقام يحتمل المعنيين على السواء ، وربما قصدهما معًا ؛ أي للإيذان بوجوب الامتثال بالمداومة على الإيمان والجهاد ، ولله العلم .

1- الكشاف : 106/6 .

2- التحرير والتنوير : 194/28 .

3- السابق : 194/28 .

المبحث الثاني

العدول التركيبي

المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي

المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع

المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمـــر

المبحث الثاني : العدول التركيبي

المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي

يُعْدَلُ عن صيغة الماضي في السياق إلى صيغة أخرى للماضي أو إلى صيغة المضارع .

أولاً / العدول بين صيغتي الماضي :

1- ومنه قوله تعالى : ﴿۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝﴾ [1] .

ورد في سياق الآية الكريمة الفعل الأول بالتشديد (نُزّلت) ؛ لأنه من كلام المؤمنين ، الذين كانوا يتشوقون لنزول الوحي ويستوحشون لإبطائه [2] ، ويتظاهر المنافقون بذلك معهم ؛ لذلك عبر عنه بالصيغة المشدَّدة الدالة على المبالغة ، مع (لولا) الدالة على التمني ، للدلالة على أن هذه السورة لم تنزل بعد ، في حين أن الفعل الثاني من كلام الله تعالى لذلك ورد بصيغة (أنزلت) مع (إذا) المقيّدة للتحقيق لتدل على الإنزال الحقيقي المتجسد في آيات تدعو إلى الجهاد يتبيّن بها صدق المؤمنين وزيف المنافقين .

1- سورة محمد : الآية (21) .

2- ينظر : أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص227 .

2- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ ﴾ [1] .

من الواضح وجود عدولين في الآية الكريمة ، أولهما : العدول عن (نبّأ) إلى (أنبأ) ، والثاني : العدول عن (أنبأ) إلى (نبّأ) ، فصيغة (نبّأ) تمثل المعدول عنه في العدول الأول ، والمعدول إليه في العدول الثاني .

تتميّز صيغة (فعّل) بالتشديد عن صيغة (أفعل) بإفادة معنى المبالغة والتأكيد [2] ؛ لذلك لم يقل ﷻ على لسان نبيه ﷺ (أنبأني) ، بل عدل إلى (نبّأ) الذي هو أبلغ تنبيهاً على تحقيقه وكونه من قِبَل الله [3] ، أي أن صيغة (نبّأ) تدل على الخبر اليقين الذي لا شك فيه ، أما صيغة (أنبأ) فتدل على غلبة الظن والشك ، وهذا ما يوحي به العدول الأول ، فصيغة (نبّأ) تدل على علمه اليقين ، إذ إن ما يُنبئ به الرسول ﷺ هو يقين لا شك فيه ، أما صيغة (أنبأ) فإنها تدل على الظن والشك ؛ لأن السائلة وهي أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – كان يغلب على ظنها أن الوحي هو الذي نبأ الرسول الكريم ﷺ بإفشائها سره [4] ، ولكنها لم تجزم بذلك ؛ لأنه خطر ببالها لظنها أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قد تكون هي من أفشت سرها ، ولهذا جاء ردها بصيغة السؤال: من أنبأك هذا ؟ ولكن عندما أجابها

1- سورة التحريم : الآية (3) .

2- ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، حسن طبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1998 م ، ص67 .

3- ينظر : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) : ص481 .

4- ذكر الزمخشري أن الحديث الذي أسر به النبي الكريم ﷺ لزوجه وهو تحريمه لمارية وبشارته لها – أي حفصة – بأن أبا بكر وعمر يُملكان أمر أمته بعده ، وقد طلب منها أن تكتم هذا السر ، ولكنها أخبرت به عائشة . ينظر : الكشاف : 158/6 ، وينظر أيضاً : التحرير والتنوير : 351/28 .

الرسول الكريم عدل عن (أنبأ) إلى (نبّأ) لفتاً لها إلى ما غفلت عن إدراكه في بداية الأمر ، وتنبيهاً إلى أنه يخبر خبراً يقيناً ، فقال : ((نبّأني العليم الخبير)) .

وقد حذف المفعول الثاني المذكور بعد الصيغة الأولى في العدول الثاني (أنبأك هذا) من الصيغة الثانية (نبّأني) دلالة على أن ما نبّأه به المولى تبارك وتعالى في هذا الموقف تتسع دائرته وتتجاوز (هذا) الذي سألته زوجه عما أنبأه به [1] .

ثانياً / العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع :

يحفل النص القرآني بنماذج كثيرة من هذا النوع من العدول ، حتى إنه يشكل ((أعلى نسبة من نسب الصور العدولية في صيغ الأفعال)) [2] ، ((فهو طريق البلغاء لا يعدلون عنه إذا اقتضى المقام سلوكه)) [3] .

1- من أمثلته قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ** ﴿١٨﴾ ﴾ [4] .

عُدل في الآية الكريمة عن الماضي (سخّرنا) إلى المضارع (يُسبِّحْن) لدلالة الماضي على التحقق والوقوع في الأولى ، ولمّا كان تسبيح الجبال من أعجب الأحداث وأدلها على قدرة العزيز الرحيم عبّر عنها بصيغة المضارع ؛ للدلالة على حدوث التسبيح شيئاً فشيئاً ، ولاستحضار الحدث من الماضي وجعله في مقام المشاهدة حتى كأن السامع يشاهد هذا التسبيح ويسمعه [5] .

1- ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص63 .
2- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص113 .
3- مفتاح العلوم ، ص119 .
4- سورة ص : الآية (17) .
5- ينظر : الكشاف ، 250/5 .

وبما أن الآية سيقت لإبراز نعمة من النعم التي أنعم الله بها على نبيه داوود عليه السلام عُبِّر عن التسبيح بصيغة المضارع للدلالة على أن تسبيح الجبال ليس هو التسبيح الدائم ، كونها إحدى المخلوقات التي يصدق عليها قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [1] ، بل هو تسبيح خاص وقع في زمن داوود عليه السلام يتجدد بتجدد تسبيحه ، وتقديم الظرف (معه) على الفعل (يسبّحن) تدعم هذه الدلالة [2] .

2- وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] .

تحدّثت الآية عن نوعين من العطاء ، إحداهما : العطاء الدنيوي الزائل ، والآخر هو العطاء الأخروي الباقي ، قال تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [4] ، ثم تحدّثت عن من يستحق هذا العطاء الدائم ، وهم من آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، وقد عبّرت عن الإيمان بصيغة الماضي ، في حين آثرت صيغة المضارع للتعبير عن توكل هؤلاء المؤمنين .

تدل صيغة المضي – كما سبق الذكر في المبحث السابق – على تأكيد الفعل وتحقق وقوعه ؛ لذلك عُبر بها عن صفة الإيمان ، لتدل على أنه صفة راسخة في هؤلاء المؤمنين مع دلالتها على المضي بالنسبة لليوم الآخر ؛ لأن الآية تتحدث عن الجزاء الأخروي ، والدنيا ماضٍ بالنسبة للآخرة .

1- سورة الإسراء : الآية (44) .

2- ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص87 .

3- سورة الشورى : الآية (33) .

4- سورة النحل : الآية (96) .

واختيرت صيغة المضارع مع صفة التوكل لتدل على تجدده واستمراره ، فالإيمان صفة راسخة في نفس المؤمن ، والتوكل ممارسة عملية للإيمان ، ويكون التوكل أكثر وضوحاً في مواقف الشدة حين يستشعر المؤمن ضعفه وعجزه ، ومواقف الشدة متجددة متكررة ، لهذا عبّر عنه بصيغة المضارع [1] .

هذا بالإضافة إلى أن صيغة المضارع قد وقعت موقع الفاصلة من الآية الكريمة ، وقد يكون سر العدول إليها هو الحفاظ على توافق فواصل الآيات التالية لها (يغفرون – ينفقون – ينتصرون ... إلخ) .

3- وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلاَ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ ﴾[2] ، تتحدث الآية عن عبادة النبي ﷺ من جهة وعبادة الكافرين من جهة أخرى ، مؤكدة نفي تحوّل كل من الطرفين إلى معبود الطرف الآخر في الماضي والحاضر والمستقبل بتوظيف الجملة الاسمية في سياق النفي (لا أنا عابد – ولا أنتم عابدون)[3] .

من الملاحظ أن فعل العبادة المسند إلى الكافرين جاء ماضياً (عبدتم) ، في حين عُدل إلى صيغة المضارع مع فعل العبادة المسند إلى الرسول ﷺ (أعبد) ، وفي ذلك قال الزمخشري : ((فإن قلت : فهلا قيل : ما عبدت ، كما قيل : ما عبدتم ؟ قلت: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث ، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت)) [4] .

وقد خطّأ أبو حيان الزمخشري في قوله هذا ، لكنه لم يبين سر هذا العدول ، فقال : ((وأما قوله : وهو لم يكن ... ، فسوء أدب منه على منصب النبوة ، وهو

1- ينظر : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص132 .

2- سورة الكافرون : الآيتان (4-5) .

3- ينظر : أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص256 .

4- الكشاف : 449/6 .

أيضاً غير صحيح ؛ لأنه ﷺ لم يزل موحِّداً لله ﷻ منزهاً له عن كل ما لا يليق بجلاله ، مجتنبًا لأصنامهم ، يحج بيت الله ، ويقف بمشاعر إبراهيم عليه السلام ، وهذه عبادة لله تعالى ، وأي عبادة أعظم من توحيد الله تعالى ، ونبذ أصنامهم ، والمعرفة بالله تعالى من أعظم العبادات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] ، قال المفسرون : معناه ليعرفون)) [2] ، فسمّى الله تعالى المعرفة عبادة ، بينما قال ابن عاشور : ((وجيء بالفعل الماضي في قوله (ما عبدتم) للدلالة على رسوخهم في عبادة الأصنام من أزمان مضت ، وفيه رمز إلى تنزيهه ﷺ من عبادة الأصنام من سالف الزمان وإلا لقال : ولا أنا عابد ماكُنا نعبد)) [3] .

خلاصة لما سبق يمكن القول بأن سر العدول في الآية الكريمة هو الدلالة على نفي تحول كل من الطرفين إلى معبود الطرف الآخر في الماضي بدليل قوله : ﴿ وَلا أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ ﴾ على نفي العبادة منه لما عبدوا في الماضي ، وفي الاستقبال بدليل قوله:﴿ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلاَ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ إشعارًا بأن ما عبد في الماضي هو الذي سيُعبد في المستقبل [4] .

ومن الآيات التي ورد فيها عدول زمنيٌّ عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَاماً إِنَّ فِى

1- سورة الذاريات : الآية (56) .
2- البحر المحيط : 141/8 .
3- التحرير والتنوير : 583/30 .
4- ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 536/22 .

ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ۝٢١﴾[1]،وقوله:﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ ﴾[2]، وقوله:﴿إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً ﴾ [3] ، وقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [4] .

ثالثاً / العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الأمر :

لم أجد شواهد على العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الأمر في الربع الأخير من القرآن الكريم ، وقال جلال الحمّادي : إن ((هذه الصورة العدولية لا تتحقق على مستوى النص القرآني)) [5] ؛ وذلك لأن الشاهد الوحيد الذي يذكره الدارسون لهذه الصورة العدولية من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ﴿۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [6] ، وقد درسه حسن طبل وغيره ، وأثبتوا بالدراسة أن العدول في الآية هو عدول عن المصدر (إقامة) إلى فعل الأمر (أقيموا) [7] .

1- سورة الزمر : الآية (20) .
2- سورة الزخرف : الآية (5-6) .
3- سورة الحديد : الآية (19) .
4- سورة البروج : الآية (8) .
5- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم : ص181 .
6- سورة الأعراف : الآية (28) .
7- ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص84 ، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص181 .

المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع

يعدل زمنيًا عن صيغة المضارع في السياق إلى صيغة أخرى للمضارع أو إلى صيغة للماضي ، ولم أجد شواهد على العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الأمر في الربع الأخير من القرآن الكريم .

أولاً / العدول بين صيغتي المضارع :

1- قوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [1] .

من الملاحظ أن الفعل المعدول عنه (ليدَّبَّروا) والمعدول إليه (ليتذكر) تجمعهما صيغة صرفية واحدة هي صيغة المضارع ؛ إلا أن الفعل الأول حدث فيه إدغام ، فالأصل (ليتدبروا) ؛ ليشير إلى دلالة المبالغة في الحدث والإكثار منه [2] ، والتكلّف والمشقة فيه [3] ، وقيل : إن هذا الإدغام ((دليل على وجوب معرفة معاني القرآن ، ودليل على أن الترتيل أفضل من الهَذّ ؛ إذ لا يصح التدبر مع الهَذّ)) [4] .

أما صيغة الفعل الثاني – المعدول إليه – استعملت على أصلها بدون إدغام ؛ لأنها تدل على تدرج الحدث شيئاً فشيئاً [5] .

1- سورة ص : الآية (28) .

2- ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ، شركة العاتك ، القاهرة ، ط2 ، 2006 م، ص41-42 .

3- ينظر: التحرير والتنوير : 252/23 .

4- الجامع لأحكام القرآن : 189/18 ، والهَذّ : من هذذ ، ويعني سرعة القراءة .

5- ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص38 .

ثم إن الضمير في الفعل المعدول عنه (ليدَّبَّروا) يعود إما إلى (أولوا الألباب) ((على طريقة الإضمار للفعل المهمل عن العمل في التنازع ، والتقدير : ليدّبر أولوا الألباب آياته ويتذكروا)) [1] فيكون الفاعل في الفعلين واحداً ، أو يعود إلى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمتقين) الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة : ﴿ أَم نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] ، فيكون لكل من الفعلين فاعل مستقل [3] .

فعلى الرأي القائل بأن فاعل الفعلين واحد يكشف العدول عن مرحلتين من مراحل التفكير الإنساني ، الأولى منهما ، هي مرحلة التدَّبر وما تقتضيه من البحث والتنقيب للوصول إلى المعلومات الخفية والأسرار الكامنة في النص القرآني ، مما يدلّ على أن التأمل في كتاب الله لمعرفة مراد الله من آياته هو من الأمور الشاقة التي تتطلب مبالغة وتكلّفاً في التأمل والتدبر [4] ؛ لذلك عُبّر عنها بالصيغة المدغمة .

والمرحلة الثانية :هي مرحلة التفكير ، أي استرجاع المعلومات والمعارف الناتجة عن المرحلة الأولى ، ومن ثم فإنها تحتاج لوقت أطول ، ولا تتطلب الجهد والتكلّف الذي تتطلبه المرحلة الأولى ، فعُبِّر عنها بدون إدغام ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[5] ، إذ

1- التحرير والتنوير : 252/23 .

2- سورة ص : الآية (27) .

3- ينظر : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص105 .

4- ينظر : التحرير والتنوير : 252/23 .

5- سورة الزمر : الآية (10) .

جاء الفعل (يتذكر) أيضاً بدون إدغام ، فالعلم يحتاج إلى النظر الطويل والتدرج في المعرفة .

أما على الرأي القائل بأن لكل فعل فاعلاً مستقلاً تكون علاقة الفاعل الثاني بالفاعل الأول علاقة الجزء بالكل ، على اعتبار أن (أولوا الألباب) يدخلون ضمن (الذين آمنوا والمتقين) ، وهذا يعني أن الفاعل الأول (الذين آمنوا) ليس له من رجاحة العقل والرسوخ في العمل ما للفاعل الثاني (أولوا الألباب) ، ومن ثم فإن تدبره في كتاب الله يحتاج إلى تكلف ومشقة ، فعُبّر عنه بالصيغة المدغمة ، على العكس مع الفاعل الثاني (أولوا الألباب) ، وإلى هذا أشار أبو حيان بقوله : ((وأسند التدبر في الجميع ، وهو التفكر في الآيات ، والتأمل الذي يُفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء وأسند التذكر إلى أولي العقول ؛ لأن ذا العقل فيه ما يهديه إلى الحق وهو عقله ، فلا يحتاج إلا إلى ما يذكّره)) [1] .

وأشار جلال الحمّادي إلى أن صيغة (ليدَّبَّروا) باستثناء واو الجماعة أقصر من صيغة (ليتذكر) وأن فاعل التدبر كثير بالقياس إلى فاعل التذكر ، فاختار الصيغة الصرفية القصيرة صوتيًّا مع العدد الكثير، والصيغة الصرفية الطويلة صوتيًّا مع العدد القليل لإحداث التوازن بين الفعلين [2] .

2- قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [3] .

1- البحر المحيط : 379/7 ، وينظر أيضاً : روح المعاني : 189/23 .

2- ينظر : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم : ص107 .

3- سورة الصافات : الآيات (12-14) .

استعملت صيغة المضارع هنا في الفعلين (يسخرون ، يستسخرون) لإفادة تجدد السخرية ، إلا أن الفعل الأول منهما جاء على صيغة (يفعلون) ، ثم عدل السياق إلى صيغة (يستفعلون) لإفادتها الطلب ، والمبالغة في السخرية [1] .

قال القرطبي : ((يسخرون منك إذا دعوتهم ، ويستسخرون : يستدعون السخري من غيرهم)) [2] ، أما أبو حيان فقال : ((يسخرون يكون استفعل بمعنى المجرد ، وقيل فيه معنى الطلب))[3] ، في حين فسّرها الألوسي بأنهم ((يبالغون في السخرية ، ويقولون : إنه سحر أو يطلب بعضهم من بعض أن يسخر منها)) [4] ، وقال ابن عاشور : ((يستسخرون مبالغة في السخرية فالسين والتاء للمبالغة... فالسخرية المذكورة في قوله (ويسخرون) سخرية في محاجة النبي ﷺ إياهم بالأدلة ، والسخرية المذكورة هنا سخرية عن ظهور الآيات المعجزات ، أي يزيدون في السخرية بمن ظن منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم ، ألا ترى أنهم قالوا : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾))[5].

فابن عاشور جعلها للمبالغة ولم يشر إلى معنى الطلب فيها ، وجعلها الألوسي والقرطبي تجمع بين المعنيين ، في حين جعلها أبو حيان للطلب ولم يشر لمعنى المبالغة ، والظاهر أنها تجمع بين المعنيين معاً .

1- ينظر : الكشاف : 204/5 ، الجامع لأحكام القرآن : 21/18 ، البحر المحيط : 340/7 ، روح المعاني : 77/23 .

2- الجامع لأحكام القرآن : 21/18 .

3- البحر المحيط : 340/7 .

4- روح المعاني : 77/23 .

5- سورة الفرقان : الآية (42) ، التحرير والتنوير : 98/23 .

ونلاحظ أن صيغة الفعل (يسخرون) أقصر من (يستسخرون) ، وأن فاعل (يسخرون) قليل بالقياس لفاعل (يستسخرون) ، فاختار الصيغة القصيرة صوتيًّا مع العدد القليل ، والصيغة الصرفية الطويلة صوتيًّا مع العدد الكثير لملائمة معنى كل منهما ، والله أعلم .

ثانياً / العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي :

1- قوله تعالى : ﴿ إِن يَّثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ ﴾ [1] .

موضع العدول في الآية الكريمة هو المجيء بصيغة المضارع في الأفعال (يثقفوكم ، يكونوا ، يبسطوا) ، ثم العدول عنها إلى صيغة الماضي في الفعل (ودّوا).

اختلف المفسرون في الموقع الإعرابي للفعل (ودّوا) على النحو الآتي :

أ – قيل : إنه معطوف على جواب الشرط (يكونوا) ، قال الزمخشري : ((فإن قلت : كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ، ثم قال : (وودّوا) بلفظ الماضي ؟ قلت : الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب ، فإن فيه نكتة ، كأنه قيل : وودُّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ، يعني : أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً ، من قتل الأنفس ، وتمزيق الأعراض ، وردّكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها ؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ؛ لأنكم بذّالون لها دونه ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه)) [2] .

ب – قيل : إنه معطوف على جملتي الشرط والجزاء ، قال أبو حيان : ((قوله (وودّوا) ليس على جواب الشرط ؛ لأن ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم

1- سورة الممتحنة : الآية (2) .

2- الكشاف : 90/6 ، وينظر أيضاً روح المعاني : 68/28 .

والتسلط عليهم ، بل هم وادّون كفرهم على كل حال ، سواء أظفروا بهم ، أم لم يظفروا ، وإنما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء ، أخبر تعالى بخبرين أحدهما اتضاح عداوتهم والبسط إليهم ما ذكر على تقدير الظفر بهم ، والآخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم)) [1] .

ج – وقيل : إن جملة (ودّوا لو تكفرون) حال من ضمير (يكونوا) ، قال ابن عاشور: ((وجملة (وودّوا لو تكفرون) حال من ضمير (يكونوا) ، والواو واو الحال ، أي : وهم قد ودّوا من الآن أن تكفروا ، فكيف لو يأسرونكم ، أليس أهم شيء عندهم حينئذٍ أن يردوكم كفاراً ؟ فجملة الحال دليل على معطوف مقدر على جواب الشرط ، كأنه قيل : إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء إلى آخره ؛ لأن محبتهم أن يكفر المسلمون محبة غير مقيدة بالشرط ، ولذلك وقع فعل (ودّوا) ماضيًا ، ولم يقع مضارعًا ، مثل الأفعال الثلاثة قبله (يثقفوكم ، ويكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا) ليُعلم أنه ليس معطوفًا على جواب الشرط))[2] .

فعلى الرأي الأول والثاني يكون العدول عن المضارع إلى الماضي ؛ للدلالة على أسبقية الودادة على العداوة وبسط الأيدي والألسنة بالسوء ، وعلى أنها حاصلة وإن لم يثقفوهم ، أما الرأي الثالث فيقضي بعدم وجود هذا العدول في الآية الكريمة ؛ لأن جملة (وودّوا لو تكفرون) حال وليست معطوفة على ما قبلها ، والذي أميل إليه هو الرأي الثالث ؛ لأن محبة الكافرين كفرَ المسلمين غير مقيدة بشرط ، خاصةً وأن هذه الآية سُبقت بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ

1- البحر المحيط : 251/8-252 .

2- التحرير والتنوير : 140/28 .

وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَاأَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [1] ، وقد جاء التعبير فيها عما قد يصدر من المسلمين من ودٍّ للكفار بصيغة المضارع (تلقون إليهم بالمودة ، وتُسرون إليهم بالمودة) في سياق نهي المؤمنين عن فعل ذلك ، في حين ورد التعبير عما يوده الكفار للمؤمنين من ارتدادٍ عن دينهم بالفعل الماضي (وودوا لو تكفرون) ، وذلك لدلالة المضارع على التجدد والاستمرار ، ودلالة الماضي على التحقق والتأكيد .

2- قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ ﴾ [2] ، تصف الآية الكريمة مشهدين من مشاهد يوم القيامة ، هما : زلزلة الأرض والجبال ، وصيرورة الجبال كثيباً ، واختيرت صيغة المضارع للتعبير عن المشهد الأول ، وهذا المشهد على هوله وعظمته يعد أمراً معروفاً لدى السامعين ، مع فرق ما بينهما في القوة والضعف ، فالمقام هذا ليس مقام استبعاد ، لذلك عُبِّر عنها بصيغة المضارع .

في حين اختيرت صيغة الماضي للتعبير عن الحدث الثاني ، حدث غريب غير مألوف ، تظهر فيه الجبال الراسية الضخمة كوماً من تراب مهيل ، مما يكشف عن القدرة العظيمة للذات الإلهية التي تتجاوز تصورات العقل البشري القاصرة عن تصور مثل هذا الحدث المريع ؛ لذلك عبّر السياق القرآني بالفعل الماضي الدال على تحقق وقوع الحدث وتأكيده .

1- سورة الممتحنة : الآية (1) .

2- سورة المزمل : الآية (14) .

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية : ((وجيء بفعل (كانت) في قوله : ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً ﴾ للإشارة إلى تحقيق وقوعه ، حتى كأنه وقع في الماضي ، ووجه مخالفته لأسلوب (ترجف) أن صيرورة الجبال كثيباً أمر عجيب غير معتاد ، فلعله يستبعده السامعون ، وأما رجف الأرض فهو معروف ، إلا أن هذا الرجف الموعود به أعظم ما عرف جنسه)) [1] .

3- قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ۝١٨ وَفُتِّحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ۝١٩ ﴾ [2] ، اختيرت صيغة المضارع في قوله ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ لتتوافق ودلالة هذه الصيغة على الاستقبال مع الزمن المستقبلي للصورة المعبرة عنها، ثم إن صورة النفخ على هولها تعد أمراً مألوفاً لدى السامعين ، مع وجود فارق بين هذه الصورة القرآنية والصورة الدنيوية المماثلة ، هو التضخم في عناصر الصورة القرآنية ، فلا النافخ ولا المنفوخ ولا النفخة على درجة واحدة ، أما صورة السماء وقد تشققت على هيئة أبواب مفتحة لنزول الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَّقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ۝٢٥ ﴾ [3] ، صورة غريبة غير مألوفة ، ومن ثم فهي مظنة الإنكار والاستبعاد ؛ لذلك عبَّر بصيغة المضي الدالة على تأكيد وقوع الحدث وتحققه ، وإن كانت الصورة مستقبلة الوقوع [4] .

1- التحرير والتنوير : 272/29 .

2- سورة النبأ : الآيتان (18-19) .

3- سورة الفرقان : الآية (25) .

4- ينظر : روح المعاني ، 12/30 ، التحرير والتنوير ، 32/30 .

المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمر

عدل عن صيغة الأمر في الربع الأخير من القرآن الكريم إلى صيغة أخرى للأمر ، ولم أجد شواهد على العدول عن صيغة الأمر إلى صيغتي الماضي والمضارع ، وقال جلال الحمّادي : إنه لا توجد لهذين النوعين من العدول شواهد في النص القرآني الكريم [1] .

العدول بين صيغتي الأمر :

1- قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ۝١٥ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ۝١٧﴾ [2] .

يتجه الخطاب إلى الرسول الكريم ﷺ بالتثبيت والتطمين وبالتهوين من أمر الكيد وأمر كائديه ، فالأمر بيده ﷻ وحده ، فليصبر الرسول الكريم ، وليطمئن هو والمؤمنون .

وقد جاء الأمر بالتمهل وانتظار عقوبة الكافرين مرتين ، ورد في الأولى بصيغة الأمر المضعّفة (فمهّل) مطلقة ، ثم عدل عنها إلى صيغة الأمر المهموزة المقيّدة بقوله (رويداً) لتأكيد الأمر الأول .

وقال الألوسي : ((وظاهر كلام أبي حيان وغيره أن الأمر الثاني توكيد للأول ، قالوا : والمخالفة بين اللفظين في البنية لزيادة تسكينه ﷺ ، وتصبيره وإنما دلت الزيادة

1- ينظر : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، ص185 ، ص187 .

2- سورة الطارق : الآيتان (15-16) .

من حيث الإشعار بالتغاير ، كأن كل كلام مستقل بالأمر بالتأني ، فهو أوكد من مجرد التكرار)) [1] ، وإلى ذلك أشار القرطبي والزمخشري والتوحيدي [2] .

يقول ابن عاشور : ((والتمهيل مصدر بمعنى أمهل ، وهو الإنظار إلى وقت معيّن أو غير معيّن ، فالجمع بين (مهّل) و (أمهلهم) تكرير للتأكيد ؛ لقصد زيادة التسكين ، وخولف بين الفعلين في التعدية مرة بالتضعيف وأخرى بالهمز ؛ لتحسين التكرير)) [3] .

والجدير بالذكر هنا أن قوله (رويداً) صفة مصدر محذوف ، تقديره (إمهالاً رويداً) وبهذا يكون التكرار مرتين ، مما يدل على تصرف القرآن العجيب في الأسلوب بحيث يصلح بمقتضى التقدير موجزاً ومسهباً في تركيب واحد [4] .

1- روح المعاني : 101/30 .

2- ينظر : الكشاف : 355/6 ، الجامع لأحكام القرآن :217/22 ، البحر المحيط : 451/8 .

3- التحرير والتنوير : 268/30 .

4- ينظر : أسرار التكرار في القرآن الكريم : 248 .

الفصل الرابع

العدول في الرتبة (التقديم والتأخير)

مدخـــــل

المبحث الأول:

العدول بتقديم الفاعل على الفعل

المبحث الثاني:

العدول بتقديم المفعول به على الفعل

المبحث الثالث:

العدول بتقديم بعض المتعلقات الأخرى على الفعل

المبحث الرابع:

العدول بالتقديم المعنوي (العدول بتقديم الفعل على الفعل)

مدخـــل

قضية العدول عن الرتبة في بناء الجملة الواحدة من القضايا التي تبلور فيها مبحث التقديم والتأخير ، كونه أحد طرق العدول عن اللغة المعيارية النفعية إلى اللغة الإبداعية ، لزيادة معنى ، وإصابة غرض يقصده المتكلم ، كالاختصاص أو القصر ، أو الاهتمام بالمقدّم ، أو التلذّذ بذكره ، أو تشويق السامع.... إلخ .

وقد حظي التقديم والتأخير باهتمام كبير من البلاغيين ، ولعل أبرز من ذكره منهم عبد القاهر الجرجاني ، حيث قال عنه : ((هو باب كثير الفوائد ، جَمُّ المحاسن ، واسع التصرّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف إليك موقعه ، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك ولطف عندك ، أن قدَّم فيه شيء ، وحُوِّل اللفظ من مكان إلى مكان)) [1] ، فهو زيادة في المعنى من غير أن يزاد اللفظ [2] ، أي أنه فن يقوم على عنصرين : أحدهما ثابت يتمثل في وجود أطراف الإسناد وما يتصل بها ، والآخر متغير ، وهو تحريك هذه الأطراف من أماكنها الأصلية إلى أماكن جديدة ، ثم يتولّد عن هذين العنصرين المعنى والدلالة ، ويبقى المعنى ثابتاً مع التقديم أو التأخير ، أما الدلالة فهي التي تتأثر بتغيير نظام ترتيب الجملة بعد تقديم ما حقه التأخير فيها [3] ؛ لإحداث تغير يوجب لها المزية والفضل ، كما يقول الجرجاني .

1- كتاب دلائل الإعجاز : ص106 .

2- ينظر : السابق : ص288 .

3- ينظر : البلاغة والأسلوبية : ص333 .

وقد رأى بعض البلاغيين أن التقديم والتأخير يعد من المجاز ، حيث أورد أبو عبيدة معمر بن المثنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [1]، وقال : ((إنه من مجاز المقدّم والمؤخر)) [2] ، يقصد قوله : اهتزت وربت ، كذلك أورد قوله تعالى : ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [3] ، وقال : ((أي لم يرها ولم يكد)) [4] ، ورأى هؤلاء أن تقديم ما حقه التأخير ، وتأخير ما حقه التقديم ، إنما هو نقل للفظ عن رتبته وحقه ، وقد عارض الزركشي ذلك قائلاً : ((والصحيح أنه ليس منه ؛ فإن المجاز نقل لما وضع له إلى ما لم يوضع)) [5] .

والظاهر أنه – كما قال الزركشي – ليس نقلاً لما وضع له اللفظ ، وإنما هو إعادة ترتيب لبناء الجملة ، بما يتناسب مع المقام وسياق الكلام ، فيتقدّم ما أريد التنبيه عليه ، ويتأخر مالم يرد فيه ذلك ، دون النظر إلى البناء الأصلي الذي يُعنى بالرتبة بعيداً عن الغرض والغاية اللذين تحققهما مواقع الألفاظ داخل الجملة .

والمقصود بالرتبة أن يكون للكلمة موقعاً معلوماً بالنسبة لصاحبتها ، كأن تأتي سابقة لها أو لاحقة ، فإذا كان هذا الموقع ثابتاً سمّيت الرتبة محفوظة ، وإذا كان الموقع عرضة للتغيير سمّيت غير محفوظة [6] .

1- سورة الحج : الآية (5) .

2- مجاز القرآن : ص12 .

3- سورة النور : الآية (39) .

4- مجاز القرآن : ص12 .

5- البرهان في علوم القرآن : 233/3 .

6- ينظر: البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان ، القاهرة ، عالم الكتب ، (د.ط) ، 2000م ، 67/1 ، 233 .

ولعل أشهر تقسيم للعدول في الرتبة عند البلاغيين [1] هو تقسيم عبد القاهر الجرجاني ، الذي جعله قسمين: التقديم على نية التأخير ، والتقديم لا على نية التأخير ، وبهذا يكون هذا التقسيم مقابلًا لتقسيم النحاة له إلى : الرتبة المحفوظة ، والرتبة غير المحفوظة .

فالتقديم ((يقال إنه على نية التأخير ، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، وفي جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك : (منطلق زيد) ، و (ضرب عمرًا زيدٌ) ، معلوم أن (منطلقٌ) و (عمرًا) لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعًا بذلك ، وكون ذلك مفعولًا ومنصوبًا من أجله ، كما يكون إذا أخرت)) [2] ، فالمتقدم يحتفظ بوظيفته النحوية التي كان عليها قبل التقديم .

ويقال : إنه ((تقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكمٍ إلى حكمٍ ، وتجعل له بابًا غير بابه ، وإعرابًا غير إعرابه ، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبرًا له ، فتقدم تارة هذا على ذلك ، وأخرى ذلك على هذا ، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق ، حيث تقول مرة : (زيد المنطلق) ، وأخرى (المنطلق زيد) ، فأنت في هذا لم تقدِّم (المنطلق) على أن يكون متروكًا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير ، فيكون خبر مبتدأ كما كان ، بل على أن تنقله من كونه خبرًا إلى كونه مبتدأ ، وكذلك لم تؤخِّر (زيدًا)،

1- ينظر : أقسام التقديم والتأخير عند البلاغيين في: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، علي عون، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2006 م ، 59/1 .

2- كتاب دلائل الإعجاز : ص106 .

على أن يكون مبتدأ كما كان ، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرًا))[1] ، أي أن المقدم لا يحتفظ بوظيفته النحوية التي كان عليها قبل التقديم .

فمتى ظهر معنى أجزاء الكلام من غير توقف عن قرينة الرتبة أمكن التصرف فيها بالنقل من موقع إلى آخر وإحداث ترتيب معنوي أراده المتكلم ، فاللفظ تبع للمعنى في النظم ، والكلم تترتب في النطق ترتب معانيها في النفس ، كما يقول الجرجاني .

ولعدول الرتبة في الجملة الفعلية أشكال ومظاهر عديدة يعد الوقوف عليها وتتبّعها كلها أمرًا بعيد المنال ، ولهذا فإنني سأتناول هنا أبرز المظاهر تعلقًا بالفعل ، وهي تقدّم الفاعل أو نائبه عن الفعل ، وتقدّم المفعول وبقية المتعلقات على الفعل أيضًا .

1- السابق : ص106-107 .

المبحث الأول

العدول بتقديم الفاعل على الفعل

المطلب الأول : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الاستفهام

المطلب الثاني : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في النفي

المطلب الثالث : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الإثبات

المبحث الأول : العدول بتقديم الفاعل على الفعل

حدّد النحاة أصل ترتيب الجملة الفعلية بتقديم الفعل وتأخر الفاعل عنه ، فقد بيّنوا أن ((حكم الفاعل التأخر عن رافعه – وهو الفعل أو شبهه – نحو: (قام الزيدان) ، و(زيد قائم غلاماه) ، و(قام زيد) ، ولا يجوز تقديمه على رافعه ، فلا تقول: الزيدان قام ، ولا زيد غلاماه قائم ، ولا زيد قائم ، على أن يكون زيد فاعلاً مقدماً ، بل على أن يكون مبتدأ ، والفعل بعده رافع لضمير مستتر ، والتقدير : زيد قام هو ، وهذا مذهب البصريين ، أما الكوفيون فأجازوا التقديم في ذلك كله)) [1] .

والجدير بالذكر هنا أن عبد القاهر الجرجاني عندما تحدّث عن تقديم الفاعل على الفعل ، أو تقديم الفعل على الفاعل تحرر تماماً من القيد النحوي ، ولم يلتفت إلى القاعدة النحوية ، وإنما انطلق من وجهة نظره البلاغية المعتمدة على المعنى بالدرجة الأولى [2] .

وقد تابع بعض البلاغيين المحدثين عبد القاهر في النظر إلى اختلاف دلالة البدء بالفاعل عن دلالة البدء بالفعل ، ومن أمثلة هذا قول أبي موسى : ((تقول : زيد جاءني ، إذا أردت أن تفيد فوق الإخبار بالمجيء ضرباً من الاهتمام بزيد ، والحفاوة بأمره ، وتوكيد تلك الحقيقة لسامعك لأهميتها ، أو لأنه على حال لا يتوقع مجيء زيد ، وما شابه ذلك من تلك الألوان النفسية التي يبوح بها تقديم المسند إليه ، فإذا قلت : جاءني زيد ، انقطع هذا الفيض من الهواجس والخواطر ، وكان الكلام

1- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب نسخة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، (د.ط) ، 2004 م ، 35/2 .

2- ينظر : مجلة جامعة الملك سعود ، إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي التراثي ، فاطمة البريكي ، م 20 ، 2008 م ، ص270 ، 298 .

كلاماً مرسلاً ، يجري في سياق خالٍ من تلك النبضات التي جرى فيها السياق الأول)) [1] .

ومن الواضح أن في هذا الوجه مخالفة للنسق الأصلي للجملة الفعلية – من حيث المعنى – وهي ليست مخالفة عشوائية ، وإنما يقصد المتكلم من خلالها إيصال معنى ليس متيسِّراً له تحقيقه بصياغة جملته متوافقة مع النسق الأصلي ، بالمحافظة على رتب عناصرها كما هي في الأصل الذي حدده النحاة .

وسأتبع في تقسيم هذا المبحث تقسيم البلاغيين له إلى ثلاثة مطالب هي : التقديم في الاستفهام ، والتقديم في النفي ، والتقديم في الإثبات .

1- دلالات التراكيب : ص170 .

المطلب الأول : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الاستفهام

يرى البلاغيون أن الذي يلي أداة الاستفهام هو المشكوك فيه ، والمسئول عنه ، فإذا وليها الفعل كان هو المقصود بالاستفهام ، وإن وليها الفاعل أصبح هو المستفهم عنه فقط ، أما الفعل نفسه فمعلوم الثبوت لا شك فيه ، وحينما يدخل معنى جديد على الاستفهام ، كالإنكار أو التعجب أو التقرير ، فإن الذي يلي الأداة هو المقصود بالمعنى الجديد .

1- ففي قوله تعالى : وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [1].

الأصل أن يتقدّم الفعل (تُنقذ) ويتأخر عنه الفاعل (أنت) إلا أن الآية الكريمة عدلت عن الأصل لتفيد استحقاقهم العذاب ، وقد دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجزاء ، وكذلك دخل حرف (الفاء) عليهما معاً ، وهو قوله : (أفمن حقَّ ، أفأنت تنقذ) ، والهمزة الثانية كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستعباد .

قال صاحب الكشاف : ((أصل الكلام : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ، وهي جملة شرطية دخلت عليها (همزة) الإنكار ، و(الفاء) فاء الجزاء ، ثم دخلت (الفاء) التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب ،... وأفاد أن استحقاقهم العذاب قد نزل وهو في الدنيا منزلة دخولهم النار ، حتى نزل اجتهاد رسول الله ﷺ وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار)) [2].

1- سورة الزمر : الآية (17) .

2- الكشاف : 298/5 .

في حين قال القرطبي : إن المعنى (((أفمن حق عليه كلمة العذاب) أفأنت تنقذه ، والكلام شرط وجوابه ، وجيء بالاستفهام ليدل على التوقيف والتقدير)) [1] .

فتقدير الكلام عند كليهما واحد ، والاستفهام عند الزمخشري أفاد الإنكار ، أما عند القرطبي أفاد التوقيف والتقرير ، والظاهر أن الآية تحتمل الوجهين .

2- وقوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [2] .

عُدل عن الأصل في الآية الكريمة بتقديم الفاعل (هم) وتأخير الفعل عنه (يقسمون) ، فـ(هم) فاعل في المعنى ، وإن كان يعرب مبتدأ ، والمعنى أنهم لا يستطيعون ذلك ولا يملكونه ؛ لأنهم عاجزون عن ذلك ، فالمنكر كونهم القاسمين للرحمة ، لا نفي القسمة ؛ لأن القاسم هو الله ، وهو الذي يقسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، وهم عاجزون عن تدبير أمورهم ، وما يصلح فيها ، فإذا عجزوا عن تدبير أمورهم في الدنيا كانوا عن تدبير أمور الدين أعجز .

يقول الزمخشري : ((هذه (الهمزة) للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم ، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ، والتخير لها من يصلح لها ، ويقوم بها والمتولين لقسمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ، فإن الله ﷻ هو الذي قسّم بينهم معيشتهم وقدّرها ودبّر أحوالها تدبير العالِم بها... ، ولو وكّلهم الله إلى أنفسهم وولاّهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا ، وإذا كانوا

1- الجامع لأحكام القرآن : 262/18 .

2- سورة الزخرف : الآية (31) .

في تدبير معيشتهم في الحياة الدنيا على هذه الصفة ، فما ظنُّك في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى)) [1] .

3- وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

بيّن عبد القاهر الجرجاني سر تقديم الفاعل في الآية وتأخير الفعل عنه بقوله : ((لم يقل : (أتسمع الصم) ؟ هو أن يقال للنبي ﷺ : (أأنت خصوصاً قد أوتيت أن تُسمع الصمَّ ؟) وأن يُجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم ، بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصمَّ)) [3] .

ودخول الاستفهام على الفاعل يعني أنه المقصود بالإنكار ؛ فإسماع الصم لا يدعيه أحد ، بل هو على سبيل التمثيل ؛ لأنه عليه السلام لم يدَّعِ أنه يُسمع الصم ، ولا يمكن لأحد أن يدعي ذلك لأنه محال [4] ، وتشبيه النبي ﷺ في محاولته هداية الكافرين بمن يحاول إسماع الصم وهداية العمي ، ووجه الشبه : أن كلاً يطلب أمراً مستحيلاً ، وقد كان عليه السلام شديد الحرص على هداية قومه ، شديد الحب لهم ، وقد أشارت آيات كثيرة إلى هذا ، منها هذه الآية ، ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[5]، وقولـــه : ﴿ لَعَلَّكَ

1- الكشاف : 438/5 .

2- سورة الزخرف : الآية (39) .

3- كتاب دلائل الإعجاز : ص120-121 .

4- ينظر : السابق ، ص120 .

5- سورة الكهف : الآية (6) .

بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [1] ، وقولـــه : ﴿ إِن ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَّشَآءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ ﴾[2] .

يقول الزمخشري : ((كان رسول الله ﷺ يجدّ ويجتهد ويكدّ روحه في دعاء قومه ، وهم لا يزيدون على ادعائه إلا تصميماً على الكفر ، وتمادياً في الغي ، فأنكر عليه بقوله : (أفانت تُسمع الصمّ) إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم ، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر)) [3] .

1- سورة الشعراء : الآية (2) .

2- سورة فاطر : الآية (22) .

3- الكشاف : 445/5 .

المطلب الثاني : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في النفي

المقدَّم بعد أداة النفي هو الذي يتسلط عليه معنى النفي ، ومن أجل ذلك يقدَّم ، يقول الجرجاني : ((إذا قلت ما فعلت ، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول ، وإذا قلت : ما أنا فعلت ، كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول)) [1] ، وسيتضح ذلك بالأمثلة الآتية :

1- قال تعالى : ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] .

أي لا مغيث لهؤلاء الذين شاء الله إغراقهم ، ولا ينجون من الموت بالغرق ، حيث نفى أولاً الإنقاذ بالصريخ ، ثم نفى ثانياً إنقاذهم بصريخ أو غيره [3] ، وقد عدل عن الأصل بتقديم الفاعل على الفعل في قوله : (ولا هم يُنقذون) لإفادة تقوّي الحكم وهو نفي إنقاذهم من الموت بالغرق [4] ﴿ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [5] ، فلو بقيت الآية على الأصل ما أفادت هذا المعنى .

2- وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [6] .

عدلت الآية الكريمة عن الأصل فتقدّم المسند إليه الفاعل في المعنى (هم) ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي المنفي [1] ، فالمراد قصر نفي الفعل على شاربي

1- كتاب دلائل الإعجاز : ص124 .
2- سورة يس : الآية (42) .
3- ينظر : البحر المحيط : 324/7 .
4- ينظر : التحرير والتنوير : 29/23 .
5- سورة يس : الآية (43) .
6- سورة الصافات : الآيات (45-47) .

خمر الجنة دون شاربي الخمر من أهل الدنيا ، أي لا تذهب عقولهم كما هو الحال في الدنيا [2] ، وإذا كان الغول يعني اغتيال العقول بسكرها ، فإنه نفى بقوله : (لا فيها غول ... ينزفون) شيئاً واحداً عنها ، فمعنى (ينزفون) كمعنى (لا فيها غول) ولكن أولهما صفة للخمرة والأخرى صفة لشاربها [3] .

وقد أفادت مع الآية السابقة لها التخصيص والتفضيل والتعريض والتشويق ، فقد خصصت خمر الجنة بنفي الغول عنها [4] ، ففُضلّت على غيرها من خمور الدنيا ، والمعنى : أنه ليس فيها ما في خمر الدنيا من مغصٍ أو صداع أو لغو أو تأثيم... إلخ[5] ، مما يلفت انتباه السامع ويشوقه ، ويدعوه للسعي من أجل الحصول عليه والتمتع به ، والمسلم على يقين أن ذلك لا يكون إلا بالعمل الصالح والإيمان الصادق ، لذلك يسعى في حياته لإرضاء ربه والفوز بجنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

3- قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ [6] .

الأصل أن يتقدم الفعل (يريد) ويتأخر عنه فاعله (لفظ الجلالة) ، ولكن الآية الكريمة عدلت عن ذلك ، فقدّم الفاعل ؛ لإفادة تقوي الحكم ، وهو انتفاء إرادة الظلم عن الذات الإلهية ، أي : الله لا يريد ظلماً للعباد ، بل غيره يريدونه لهم ، وهم قادة

1- ينظر : التحرير والتنوير : 114/23 .

2- ينظر : الكشاف : 210/5 ، روح المعاني ، 88/23 .

3- ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص76 .

4- ينظر : من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي طبانة ، مكتبة النهضة ، ط2 ، (د.ت) : ص113 .

- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، ط2 ، 1978 م ، ص231 .

5- ينظر : الكشاف ، 210/5 .

6- سورة غافر : الآية (31) .

الشرك وأئمته إذ يدعونهم إليه ، أو أن الله لا يريد أن يظلم الناس ولكنهم يظلمون أنفسهم باتباع أئمتهم على غير بصيرة [1] .

وقد جاءت لفظة (ظلماً) نكرة ، كأنه نفى أن يريد ظلماً ما لعباده ، أي ليدل على انتفاء جنس الظلم عن أن تتعلق به إرادة الله ، فمن كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم نفسه أبعد [2] ، فضلاً عن ورود صيغة (يفعل) الدالة على استمرار نفي الظلم عنه سبحانه وتعالى .

وقد يتقدم الفاعل عن أداة النفي أيضاً ، كقوله تعالى : ﴿ **فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** ۝٣ ﴾ [3] .

إن ((هذه الطريقة في بناء الكلام فيها تعجيب وإنكار ولوم وتنبيه إلى باطل يخالف المنطق ويخالف الفطرة))[4] ، خصوصاً بعد ما بيّنت الآية السابقة لهذه الآية أنهم قوم يعلمون أنه ﴿ **كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ۝٢ ﴾[5] ، أي أنهم يعلمون ما في هذا الإعراض من ضلال وباطل ، وقد بيّنت الفاء أنهم أعرضوا فور نزوله عليهم من غير مراجعة وتدبّر ، كما دلّ الإعراض على انصرافهم ورفضهم من غير نظر [6] .

فتقدم المسند إليه الفاعل في المعنى (هم) وأفاد من التأكيد وتقوية الحكم ما لا يفيده تأخيره ، وقد ورد هذا التركيب في مواضع كثيرة من الربع الأخير ، منها

1- ينظر : التحرير والتنوير : 135/24 .

2- ينظر : روح المعاني : 67/24 .

3- سورة فصلت : الآية (3) .

4- آل حم غافر- فصلت ، دراسة في أسرار البيان ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2009 م ، ص322-323 .

5- سورة فصلت : الآية (2) .

6- ينظر : آل حم غافر- فصلت ، دراسة في أسرار البيان : ص323 .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ۝٧ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدّاً فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ۝٨ ﴾ [2] .

1- سورة يس ، الآية (6) .

2- سورة يس ، الآية (8) .

المطلب الثالث : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الإثبات

إن العدول بتقديم الفاعل على فعله في الإثبات غالبًا ما يفيد أمرين : إما التوكيد وتقوية الحكم ، وإما الاختصاص ، حسبما يحدد السياق وقرائن الأحوال ، ومن ذلك :

1- قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1] .

وردت هاتان الآيتان على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام في سياق حديثه مع قومه المشركين ، منكرًا عليهم عبادة الأصنام ، ومبيِّنًا لهم قدرة الله تعالى ، والمعنى : أنكم أتيتم منكراً إذا عبدتم ما تصنعونه بأيديكم والله خلقكم وما تعملون ، ولهذا فهو من يستحق العبادة وحده ؛ لذلك عُدل عن الأصل وقدم (لفظ الجلالة)على الفعل(خلقكم) ليفيد اختصاص الله سبحانه وتعالى بالخلق دون سواه ، والاستفهام هنا إنكاري ، أي أن شأن المعبود أن يكون فاعلًا لا منفعلًا ، فمن المنكر أن تعبدوا أصنامًا أنتم نحتموها[2] .

2- وقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] .

عدل عن الأصل في الآيتين الكريمتين ، فقُدِّم لفظ الجلالة (الله) على الفعل (نزَّل) في الآية الأولى ، وقدم ضميره على الفعل (نزّلنا) في الآية الثانية ؛ ليفيد أنه

1- سورة الصافات : الآيتان (95-96) .

2- ينظر : التحرير والتنوير ، 145/23 .

3- سورة الزمر : الآية (22) .

4- سورة الإنسان : الآية (23) .

لم ينزله إلا الله سبحانه فاختصّ الفعل بلفظ الجلالة في الأولى والضمير العائد عليه في الثانية .

وقد أفاد العدول تفخيم نزول الكتاب ، كما قال المفسرون حيث بدأت الجملة الدالة عليه بلفظ الجلالة ، والزمخشري يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] ، ((تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لـ(إنّ) ، تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزِّل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصواباً ، كأنه قيل : ما نزل عليك القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لا غيري ، وقد عرفتني حكيماً فاعلاً لكل ما أفعله بدواعي الحكمة)) [2] .

ودلَّ العدول أيضاً على التوكيد ((فالمخاطب ﷺ ليس لديه شك في هذا ، ولكن التوكيد يهدف إلى زيادة تقرير المعنى في نفسه ﷺ حتى يبلغ به عين اليقين ، وفيه تعهد للإيمان الراسخ في يقينه ﷺ حتى ينهض بأثقال الدعوة)) [3] .

3- قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [4] .

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن كمال قدرة الله ﷻ في الإماتة والإحياء ، وردًّا على من ينكر البعث [5] ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بِيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَا إِن كُنتُمْ

1- سورة الإنسان : الآية (23) .

2- الكشاف : 283/6 .

3- خصائص التراكيب : ص95 .

4- سورة الجاثية : الآية (25) .

5- ينظر : الكشاف : 488/5 ، البحر المحيط : 50/8 .

صَٰدِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] ، وتقدَّم لفظ الجلالة للاهتمام والعناية بكمال القدرة ، وبيان أنه المختص وحده بالخلق والبعث ، وقد وردت هذه الآية لأجل جواب قولهم : ﴿ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ ٱلدَّهْرُ ﴾ [2] ، إضافة لما للفظ الجلالة بمدلوله الكريم من وقعٍ عظيمٍ على القلوب ، والمراد تمكين الألوهية وإشاعة هيمنتها في الضمائر، فلو بقي الكلام على أصله قبل العدول ما أفاد هذا المعنى ، والله أعلم .

1- سورة الجاثية : الآية (24) .

2- سورة الجاثية : الآية (23) .

المبحث الثاني

العدول بتقديم المفعول به على الفعل

المطلب الأول : العدول بتقديم المفعول به على الفعل دون شغل الفعل عنه

المطلب الثاني : العدول بتقديم المفعول به على الفعل وشغل الفعل عنه

المطلب الثالث : العدول بتقديم المفعول به على الفعل ورفعه بالابتداء

المبحث الثاني : العدول بتقديم المفعول به على الفعل

الأصل في المفعول به هو أن يأتي بعد إتمام الإسناد ، أي بعد ذكر الفعل والفاعل في الجملة ، ولكنه قد يتقدم على الفاعل ، وعلى الفعل والفاعل ، ويتقدم الثاني منه على الأول ، لأغراض تتعلق بالسياق .

ولكون الدراسة تقوم على العدول في الأفعال فسوف اقتصر على دراسة وتحليل صور تقديم المفعول به على الفعل .

بيّن علماء النحو المواضع التي يجب فيها تقديم المفعول به على عامله [1] ، كأن يكون ضميراً منفصلاً نحو : إياك ضربت ، أو أن يكون عامل المفعول مقترناً بفاء الجزاء التي في جواب الشرط ، نحو : أمّا زيداً فأكرمته ، وللمتكلم حرية تقديم المفعول به وتأخيره في غير ما أوجبوا تقديمه أو تأخيره .

ولتقديم المفعول به على الفعل ثلاث صور: تقديمه دون شغل الفعل بضميره، نحو : زيداً ضربت ، وتقديمه وشغل الفعل بضميره ، نحو : زيداً أكرمته ، وتقديمه ورفعه بالابتداء وشغل الفعل بضميره ، في نحو : زيدٌ أكرمته ، وكل ذلك في الكلام عربي جيد [2] ، ولذلك جعلت كل صورة منها في مطلب مستقل ، وفق الآتي :

1- ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط6 ، 1974 م ، 133/2 .
- شرح المقرب ، علي محمد فاخر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (د.ط) ، 1990 م ، 157/1-160 .
- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، (د.ط) ، (د.ت) ، 90/2-91 .
2- ينظر : الكتاب : 80/1-81 .

المطلب الأول : العدول بتقديم المفعول به على الفعل دون شغل الفعل عنه

ومن أمثلة ذلك في الربع الأخير :

1- قوله تعالى : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [1] .

قال الزمخشري : ((إن المفعول (آلهة) قد تقدَّم على الفعل (تريدون) ، وقدّم المفعول له (إفكاً) على المفعول به (آلهة))) [2] ، ويجوز أن يكون (إفكاً) مفعولاً به يعني : أتريدون أفكاً ؟ [3] ، ثم فسر الإفك بقوله : (آلهة دون الله) ، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى : (أتريدون آلهة من دون الله آفكين) [4].

وهذا الاستفهام على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام منكراً على قومه ما هم فيه من عبادة باطلة ؛ لأنها لغير الله ﷻ ، وموبخاً إياهم لصنيعهم هذا ، وقدمت الحال على صاحبها للاهتمام بالتعجيل بالتعبير عن كذبهم وضلالهم [5] ، لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على ((إفك وباطل في شركهم)) [6] ، وعدل عن الأصل فقدّم المفعول به عناية به من جهة إنكار عبادته والتوبيخ لأجله ، وقد صحب ذلك التناسب رعاية الفاصلة أيضاً .

1- سورة الصافات : الآية (86) .

2- الكشاف : 216/5 .

3- ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 50/18 .

4- ينظر : الكشاف : 216/5 ، الجامع لأحكام القرآن : 50/18 .

5- ينظر : التحرير والتنوير : 139/23 .

6- الكشاف : 216/5 .

2- قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلاَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ ورد الكلام على الأصل ، فتقدّم الفعل (أعبد) وتأخرّ عنه المفعول به (لفظ الجلالة) ، أما في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾ عدل عن الأصل في ذلك ، فتقدّم المفعول به (لفظ الجلالة) على (أعبد) لإفادة معنى الاختصاص والتوكيد .

قال الزمخشري : ((فإن قلت : ما معنى التكرير في قوله : ﴿ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾ ، قلت: ليس بتكرير ؛ لأن الأول إخبار بأنه المأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص ، والثاني : إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ، ولدلالته على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة ، وأخره في الأول ، فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ؛ ولذلك رتب عليه قوله : ﴿ فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾))[2] .

في حين رأى ابن عاشور أن مفاد الجملتين واحد ، ففي قوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾ : ((أمر بأن يعيد التصريح بأنه يعبد الله وحده تأكيداً لقوله : ﴿ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ لأهميته ، وإن كان مفاد الجملتين واحداً

1- سورة الزمر : الآيات (12-14) .

2- الكشاف : 296/5 ، وينظر : التفسير الكبير : 255/26 .

لأنهما معاً تفيدان أنه لا يعبد إلا الله تعالى باعتبار تقييد (أعبد الله) الأول بقيد (مخلصاً له الدين) وباعتبار تقديم المفعول على (أعبد) الثاني فتأكد معنى التوحيد مرتين ليتقرر ثلاث مرات ، وتمهيداً لقوله ((فاعبدوا ما شئتم ، وهو المقصود)) [1] .

إذن فكلا الرأيين – وإن ظهر فيهما اختلاف في القول بالتكرار أو عدمه – فإنهما يشتركان في إفادة معنى الاختصاص ، غير أن رأي الزمخشري يبدو الأصوب ؛ ((لأن قوله : ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ ﴾ لا يفيد الحصر ، وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ ﴾ يفيد الحصر ، ويعني : الله أعبد ، ولا أعبد أحدً سواه ؛ والدليل عليه أنه لما قال بعد (قل الله أعبد) قال بعده (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ولا شبهة في أن قوله(فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرًا بل المراد منه الزجر)) [2] .

3– قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [3] .

هذه الآية رد لما أمر المشركون به رسول الله ﷺ من استلام بعض آلهتهم ، وكأنه قال : لا تعبد ما أمروك بعبادته ، بل إن كنت فاعلاً فاعبد الله ، فما في هذه الآية جاء بديلاً للإشراك المحذَّر منه في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [4].

وقد عدل عن الأصل بتقديم المفعول به (لفظ الجلالة) على الفعل (اعبد) وهذا الفعل لم يعمل من غير المقدم ، لغرض الاختصاص .

1– التحرير والتنوير : 359/23 .

2– التفسير الكبير : 255/26 .

3– سورة الزمر : الآية (63) .

4– سورة الزمر : الآية (62) .

قال ابن الأثير : ((فإنه إنما قال (بل الله فاعبد) ولم يقل : بل اعبد الله ؛ لأنه إذا تقدّم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال : بل اعبد ، لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء)) [1] ، فالمراد بتقديم المفعول تخصيصه بالعبادة ولو تأخر ما أفاد ذلك .

4- قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ [2] .

أمر الرسول ﷺ في هذه الآيات بأن يخص ربَّه بالتكبير ، وبأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات ، وبأن يهجر ما يؤدي إلى العذاب من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم [3] .

وقد عدل عن الأصل فتقدّمت المفاعيل (ربك ، ثيابك ، الرجز) على الأفعال (فكبّر ، فطهّر ، فاهجر) لإفادة الاختصاص في الموضع الأول ، وهو أن لا يتجاوز الوصف بالكبرياء لله تعالى ، وللاهتمام بالمقدَّم في الموضع الثاني والثالث مبالغة في الأمر بالتطهير ، ومبالغة في الثبات على هجر ما يؤدي إلى العذاب من عبادة الأوثان وغيرها [4] ، وقد تم رعاية النظم في تقديم المفعولات ، وتم رعاية الفواصل حيث جاءت متماثلة ، وظهر من خلالها التناسب اللفظي في النظم والفاصلة .

1- المثل السائر : 212/2 .

2- سورة المدثر : الآيات (1-5) .

3- ينظر : الكشاف : 253/6 .

4- ينظر : التحرير والتنوير : 295/29-298 .

وقد يكون المفعول به المقدَّم ضميراً منفصلاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] .

أمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً ، إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين [2]، والسجود أقصى مراتب العبادة ، فلابد من قصره عليه ﷻ ، فتقديم المفعول به (إياه) أظهر تخصيصه ﷻ بالعبادة وحقق التناسب برعاية الفاصلة .

وجعل الزركشي التقديم لغرض مشاكلة رؤوس الآي بقوله : ((يكون في التأخير إخلال التناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ، ولرعاية الفاصلة)) [3] ، ولم يشر إلى إفادة التخصيص .

1- سورة فصلت : الآية (36) .

2- ينظر : الكشاف :234/5 .

3- البرهان في علوم القرآن : 234/3 .

المطلب الثاني : العدول بتقديم المفعول به على الفعل وشغل الفعل عنه

1- من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] .

قرأ الجمهور بنصب (كل) ، وقرئ بالرفع ، وعلى قراءة الجمهور يكون النصب على الاشتغال ، فالعامل في المنصوب فعل محذوف يفسره المذكور [2] ، و(بقدر) حال من الهاء أو من (كل شيء) أي مقدراً ، والمعنى : إنا خلقنا كل شيء بقدر [3] .

وعلى قراءة الرفع تكون (كل) مبتدأ و(خلقناه) نعت لـ(كل) أو لـ(شيء) ، و(بقدر) خبره [4] ، والجملة الاسمية خبر (إنّ) ، والمعنى : إنّا كل شيء مخلوق لنا بقدر [5] ، فالمعنى على قراءة الرفع يقتضي أن مخلوقاً ما يضاف إلى غير الله ليس بقدر [6] ، أما على قراءة النصب فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى ، ولذلك قال أبو البقاء العكبري (ت616هـ) : ((وإنما كان النصب أقوى لدلالته على

1- سورة القمر : الآية (49) .

2- ينظر : الكشاف : 664/5 ، البحر المحيط : 181/8 .

3- ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، أبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الشام للتراث ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، 1196/2 .

4- ينظر : السابق : 1196/2 .

5- ينظر : هامش الكشاف : 664/4 .

6- ينظر : السابق : 664/4 .

عموم الخلق ، والرفع لا يدل على عمومه ، بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر))[1] ، كما أفاد النصب تأكيد نسبة عموم الخلق إلى الله [2] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [3] ، والإمام المبين : اللوح المحفوظ ، وقيل: صحف الأعمال [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [5] .

فقد قدّم المفعول به (كل) لإفادة معنى الشمول والاستغراق والتوكيد .

وقد يعدل عن الأصل أيضاً بتقديم المفعول به الثاني على الفعل والفاعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [6].

تباينت الآراء في غرض تقديم المفعول به (الجحيم) في هذه الآية إلى ثلاثة آراء وفق الآتي :

1- التبيان في إعراب القرآن : 1196/2 .

2- ينظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، دار الفكر ، (د.ط) ، (د.ت) ، 251/7 .

3- سورة يس : الآية (11) .

4- ينظر : البحر المحيط : 312/7 .

5- سورة النبأ : الآيتان (28-29) .

6- سورة الحاقة : الآيات (30-32) .

الرأي الأول : أن غرض التقديم هو التخصيص ؛ للتشديد في التعذيب والتهويل ، وممن قال به الزمخشري في تحليله للآية : ((ثم لا تصلوه إلا الجحيم ، وهي النار العظمى ؛ لأنه كان سلطاناً يتعاظم على الناس)) [1] وقد تبعه كل من الرازي (ت604هـ) [2] ، وناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي (ت685هـ) [3] ، وأبي السعود (ت982هـ) [4] ، وكذلك فعل بعض المحدثين [5] .

الرأي الثاني : وهو رأي ابن الأثير الذي اعترض على الزمخشري فيما ذهب إليه ، بقوله : ((لم يكن ها هنا للاختصاص ، وإنما هو للفضيلة السجعية ، ولا مراء في أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ، ثم صلوه الجحيم)) [6] ، كما اعترض عن كون الجحيم هي النار العظمى ، ولذلك قصرت عليه التصلية ؛ ورأى بأن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ، فكان ينبغي أن يختص بالذكر دون الجحيم على ما ذهب ؛ إليه لأنه أعظم ، وإنما جيء بالجحيم ، ولم يؤت بالسعير أو لظى أو جهنم ؛ لأن في ذكر الجحيم من الطلاوة والحسن ما ليس لغيرها [7] .

1- الكشاف : 201/6 .

2- ينظر : التفسير الكبير : 114/30 .

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر ، دار صادر ، بيروت ، (د.ط) ، 1990 م ، 149/5 .

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود محمد بن محمد العماري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1994 م ، 26/9 .

5- ينظر : من بلاغة القرآن : ص113 .

6- المثل السائر : 219/2 .

7- ينظر : المثل السائر 219/2 .

وتبعه في القول بالفضيلة السجعية محمد بن أحمد الدسوقي (ت1230هـ)[1]، وابن يعقوب المغربي (ت1110هـ) ، حيث قال : ((فقدم الجحيم والسلسلة للفاصلة ، إذ ليس المراد الرد على من يعتقد أنه يصلى غير الجحيم أو يتوهم أنه يؤمر بسلسلة أخرى يسلكها حتى يكون التقديم فيها للتخصيص)) [2] ، في حين رأى رجاء عيد أن هذا الاتجاه يُسطح البلاغة حيث قال : ((... كذلك نرفض ما زعموه من أن التقديم قد يكون لرعاية الفاصلة ، ويذكرون له قوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ فذلك تسطيح لفكرة البلاغة ، ومعناه على زعمهم أن الحرص على السجع دفعه إلى تفتيت التركيب الأصلي ، وإنما – في رأينا – أن التقديم هنا له دلالة بلاغية للتأثير على النفس في سرعة بيان المصير السيء الذي يتربص لهذا الذي أُخذ فغُل)) [3] ، فهو يرى للتقديم غرضاً آخر غير ما رأوه ، وهو السرعة في التنكيل والتعذيب ، وهذا ما عبَّر عنه الشيخ ابن عاشور بتعجيل المساءة، وإن أضاف إليه الرعاية في الفاصلة [4] .

والرأي الثالث : جمع بين الغرضين المعنوي المتمثل في التخصيص ، واللفظي المتمثل في رعاية الفاصلة ، ومن أبرز من قال به العلوي ، وبعض المحدثين [5] .

1- ينظر : حاشية الدسوقي على شرح السعد ، بهامش شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، 152/2 .

2- مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربي ، شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، 152/2 .

3- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ص78-79 .

4- ينظر : التحرير والتنوير : 138/29 .

5- ينظر على سبيل المثال : دلالات التراكيب ، ص282-283 ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، 223/1 .

والظاهر أن الرأي الثالث هو الأصوب ، فالتقديم في الآية الكريمة أفاد التخصيص والتهويل والتشديد وتعجيل المساءة ، والتناسب برعاية النظم والفاصلة ، والله تعالى أعلم .

2- قوله تعالى : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَّشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

قرأ الجمهور (والظالمين) ، وقرئ بالرفع (والظالمون) ، وقرئ (وللظالمين) [2]، والقراءة التي تعنينا هنا قراءة الجمهور ، أما قراءة الرفع فتدخل المقدم في الرفع بالابتداء ، وأما قراءة الجر بحرف الجر ، فتدخله في تقديم المجرور وتعلقه بمحذوف يفسره المذكور .

وعلى قراءة النصب يكون المفعول(الظالمين) قد نصب بفعل يفسره (أعدَّ لهم) نحو : أوعد ، وكافأ ، وما شابه ذلك [3] ، وفي هذا التقديم توكيد للظالمين بما أعد لهم من عذاب ، وتخصيص لهم بذلك دون غيرهم ممن يشاء الله سبحانه إدخاله في رحمته ، وفيه إظهار للتهديد والوعيد بالعذاب الأليم لما اقترفوه من ظلم .

3- قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾ [4] .

الأصل أن يتقدّم الفعل (دحى) على المفعول به (الأرض) ، لكن الآية الكريمة عدلت عن ذلك لأجل الاهتمام بدلالة الأرض ، وما تحتوي عليه ،

1- سورة الإنسان : الآية (31) .

2- ينظر : الكشاف : 285/6 ، البحر المحيط : 393/8 .

3- ينظر : الكشاف : 285/6 .

4- سورة النازعات : الآيات (30-32) .

لذا انتصب المفعول به على طريقة الاشتغال ، والاشتغال يتضمن تأكيداً باعتبار الفعل المقدَّر العامل في المشتغل عنه الدالّ عليه الفعل الظاهر المشتغل بضمير المقدم [1] .

فالتقديم دلّ على التوكيد ، بتكرر الفعل مرة مقدَّراً وأخرى مذكوراً ، وقد عمل المقدَّر في الاسم الظاهر ، بينما عمل المذكور في ضميره ، وربما كان التوكيد ناتجاً عن وجود اسمين لمسمى واحد ، أحدهما اسم ظاهر والآخر ضمير متصل ، ودلّ على الاهتمام بالمقدم ، وكذلك الشأن في تقديم الجبال على عاملها (أرساها) .

وتحقق بالتقديم غرض آخر هو رعاية النظم ، وتحقيق التوازن النظمي بين جملتي الآية الكريمة .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝٤٨ ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَاوَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝٨ ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً إِبْتَدَعُوهَا ﴾[7].

1- ينظر : التحرير والتنوير ، 86/30 .

2- سورة ق : الآية (7) .

3- سورة الذاريات : الآية (47) .

4- سورة الذاريات : الآية (48) .

5- سورة الرحمن : الآية (5) .

6- سورة الرحمن : الآية (8) .

7- سورة الحديد : الآية (26) .

المطلب الثالث : العدول بتقديم المفعول به على الفعل ورفعه بالابتداء

المفعول به إذا تقدَّم قد يظل محافظاً على حكمه ، بأن يكون مفعولاً به أيضاً لكنه مقدَّم ، وبهذا تبقى الجملة الفعلية على حالها ، وهذا ما تم تناوله في المطلبين السابقين ، وقد يصبح مرفوعاً بالابتداء ، مسنداً إليه الخبر الذي يأتي بعده، والذي سيكون جملة فعلية ، وبهذا ينشأ تركيب جديد (جملة اسمية) ، إذن فالمتكلم أمام خيارين إما أن يختار الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية تبعاً لمقتضى الحال والسياق .

ومن أمثلة ذلك في الربع الأخير ما يأتي :

1- قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] .

المفعول به (ثمودُ) مرفوع بالابتداء على قراءة الجمهور ، وقرئ بالنصب ممنوعاً من الصرف ، وقرئ منوناً بالنصب [2] ، ومعنى هديناهم بيّنا لهم ، وقيل إنه بمعنى دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [3] أي : الخير والشر [4] .

1- سورة فصلت : الآية (16) .

2- ينظر : البحر المحيط : 470/7 .

3- سورة البلد : الآية (10) .

4- ينظر : الكشاف : 376/5 ، البحر المحيط : 470/7 ، روح المعاني : 113/24 .

أما من حيث الغرض من العدول بتقديم المفعول به ، فقد قالوا : فيمن قرأ بالنصب لا يفيد إلا التخصيص ؛ لأن هذا التركيب ونحوه مما تقدّم فيه المشغول عنه تالياً لـ(أمّا) يمتنع أن يقدَّر الفعل المفسر مقدّماً لالتزامهم وجود فاصل بين أمّا والفاء؛ وسبب عدم التخصيص تقدير المحذوف قبل المنصوب وهذا غير ممكن لما ذكر ، وسبب التخصيص هو تقديره بعده ولا يمكن غير هذا [1] .

وقد ردّ صاحب مواهب الفتاح القول بلزوم الاختصاص في هذا التركيب ونحوه مما جاء فيه (أما) قبل المفعول به بما تقرر في أن شرط إفادة التقديم التخصيص أن لا يكون إصلاح التركيب ، وبأن الغالب أن الخطاب هنا يكون عند الجهل بأصل الفعل لإفادة مجرد تعلقه ، لا خطاباً مع من عرف أصل الفعل ونسبه لغير من هو له إفراداً أو مشاركة حتى يكون للتخصيص [2] ، فردّه للقول بالاختصاص جاء من جانبين ؛ الأول يتصل بالتركيب والآخر يتصل بالسياق .

والظاهر أن الغرض من التقديم هو التنبيه إلى هؤلاء القوم كيف أن الله بيّن لهم طريقي الخير والضلال ودلّهم عليهما فاختاروا الضلال ، والاهتمام بهم [3] من هذا الجانب ولما سيقع عليهم من عذاب بسبب اختيارهم السيء ، وقد سبق أن في ذكر المفعول اسماً ظاهراً ثم ذكر ضميره المتصل بالفعل المؤخر تكراراً يفيد التوكيد .

2- قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [4] .

1- ينظر : عروس الأفراح : 65/1 .

2- ينظر : مواهب الفتاح : 145/2-150 .

3- ينظر : موجز البلاغة ، محمد الطاهر بن عاشور ، المكتبة العلمية ، تونس ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص19 .

4- سورة القمر : الآية (52) .

فرفع المفعول به (كلٌّ) هو المجمع عليه ؛ لأن المعنى على الرفع : كل شيء فعلوه في الدنيا مكتوب في كتب الحفظة غير مغفول عنه ، أما على النصب فالمعنى فعلوا في الزبر كل شيء ، وهو على خلاف الأصل الواقع ، فهم لم يفعلوا شيئاً من أفعالهم في الكتب بل فعلوها في أماكنهم والملائكة كتبوها عليهم في الكتب، فالمعنى الأول هو المقصود[1] .

والغرض من العدول بتقديم المفعول المشغول عنه بضميره هنا هو إفادة معنى الشمول والتوكيد .

1- ينظر : روح المعاني ، 95/27 .

المبحث الثالث

العدول بتقديم بعض المتعلقات الأخرى على الفعل

المطلب الأول : العدول بتقديم الجار والمجرور على الفعل

المطلب الثاني : العدول بتقديم الظرف على الفعل

المطلب الثالث : العدول بتقديم الحال على الفعل

المبحث الثالث : العدول بتقديم بعض المتعلقات الأخرى على الفعل

المطلب الأول : العدول بتقديم الجار والمجرور على الفعل

من أكثر أنواع العدول في الرتبة بروزاً تقديم الجار والمجرور ، وهو في الغالب يفيد الاختصاص [1] ، فأغلب الأفعال التي تقدَّم عليها الجار والمجرور عائدة إلى الله تعالى ، فمثلاً إذا جاء الحديث عن اليوم الآخر الذي يعاقب فيه الأثيم ، ويثاب فيه الكريم ، جعل الله تعالى العذاب والمغفرة راجعيْن إليه ، مختصيْن به وحده ، ولو جاء التركيب على أصله لما أفاد هذا المعنى .

1- في قوله تعالى : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] ، والمشار إليه هنا هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [3] ، أي لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون ، لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالألم ، السريعة الانصرام [4] ، فتقديم المجرور أفاد القصر ، للرد على المشركين الذين يحسبون أنهم يعملون أعمالاً صالحة يتفاخرون بها مثل الميسر [5] ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

1- ينظر : التعبير القرآني : فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمّان ، ط4 ،2006م ، ص48 .

2- سورة الصافات : الآية (61) .

3- سورة الصافات : الآية (60) .

4- ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 459/3 .

5- ينظر : التحرير والتنوير ، 120/23 .

صُنْعاً ﴿١٠٤﴾ ﴾ [1] ، وفي هذا حثٌ على العمل الصالح وترغيب في الفوز العظيم ، وتم مع ذلك رعاية الفاصلة .

2- أما في قوله تعالى : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ﴿٧١﴾ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2] ، فقُدِّم المجرور (في النار) على الفعل (يُسجرون) ، والمعنى : في النار يُحرقون ، وقيل : يُجمعون [3] ، وفي التقديم اهتمام بالتشديد في العذاب وإظهار هول الموقف وفظاعته ، وقد تم مع غرض الاهتمام تحقيق التناسب برعاية الفاصلة .

وهناك مواضع أخرى قدّم فيها الجار والمجرور على الفعل لغرض الاهتمام ورعاية الفاصلة هي (يس : 32 ، 71 ، غافر : 78 ، 79 ، الزخرف : 32 ، 33 ، 73 ، الدخان : 3 ، الطور : 43 ، المطففين : 23 ، الضحى : 11) .

3- في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [4] ، قدّم الجار والمجرور (إليه) ليفيد أنه لا يعلم الساعة إلا الله [5] ، فهو وحده مختص بعلمها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [6] ، أي توكلنا عليه دون غيره .

4- وفي قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨﴾ ﴾ [7] ، معناه : ((عليه توكلت

1- سورة الكهف : الآية (99) .
2- سورة غافر : الآيتان (71-72) .
3- ينظر : تفسير غريب القرآن ، ابن الملقن ، تحقيق : سمير المجذوب ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ط)، 1987م ، ص349 .
4- سورة فصلت : الآية (46) .
5- ينظر : البحر المحيط : 481/7 .
6- سورة الملك : الآية (29) .
7- سورة الشورى : الآية (8) .

في رد كيد أعداء الدين وإليه أرجع في كفاية شرهم)) [1] ، أو ((عليه توكلت في مجامع أموري خاصة لا على غيره وإليه أرجع في كل ما يعِنّ لي من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه)) [2] .

فالعدول بتقديم الجار والمجرور في الموضعين أفاد الاختصاص ، أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه [3] ، وقد أشار ابن الأثير إلى أنه ليس للاختصاص ، وإنما لمراعاة الحسن في النظم [4] ، وذكر صاحب الطراز أنه كما يحتمل المشاكلة فهو يحتمل الاختصاص ، فهما محتملان والتحكم بأحدهما لا وجه له [5] ، وقد سبق نقاش هذا الأمر ، وذكرت أن الأصوب – في نظري – الجمع بين الغرضين المعنوي واللفظي ، ولذلك فإن التقديم في الآية أفاد الاختصاص ورعاية النظم والفاصلة معاً .

ومما عُدل فيه بتقديم الجار والمجرور لرعاية الفاصلة إلى جانب الاختصاص قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝ ﴾ [6] ، فـ(صار) هنا تامة بمعنى (ترجع)[7] ، وقد أفاد التقديم الاختصاص ، فالمعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره [8] ، ولكن ابن الأثير لا يرى غرضاً للتقديم إلا الحسن في

1- الكشاف : 396/5 .

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 24/8 .

3- ينظر : التحرير والتنوير ، 43/25 .

4- ينظر : المثل السائر ، 218/2 .

5- ينظر : الطراز ، 71/2 .

6- سورة الشورى : الآية (50) .

7- ينظر : دراسات لأسلوب القرآن ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت)، 39/16 .

8- ينظر: الطراز ، 70/2-71 .

نظم الكلام [1] ، في حين أن الاختصاص واضح في كون مصير الأمور إلى الله لا إلى غيره [2] .

وهناك مواضع أخرى أفاد فيها العدول اختصاصه ﷻ بكون مرجع الأمور كلها من بعث وحشر وحساب إليه وحده ﷻ ، وتحقق فيها التناسب برعاية الفاصلة هي: (يس : 21 ، 82 ، الزمر : 36 ، 41 ، غافر : 76 ، فصلت : 20 ، الشورى : 33، 35 ، الزخرف : 85 ، الجاثية : 14 ، الحديد : 5 ، المجادلة : 9 ، 10 ، التغابن : 13 ، الملك : 24 ، الحاقة : 32 ، الشرح : 7 ، 8) .

5- أما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ ﴾ [5] فقدّم المجرور للاهتمام به لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والمشقة [6] .

ومما عُدل فيه أيضًا بتقديم الجار والمجرور للاهتمام قوله تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [7] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[8].

1- ينظر : المثل السائر ، 218/2 .
2- ينظر : التحرير والتنوير ، 156/25 .
3- سورة ق : الآية (40) .
4- سورة الطور : الآية (47) .
5- سورة الإنسان : الآية (26) .
6- ينظر : روح المعاني ، 166/29 .
7- سورة الشورى : الآية (13) .
8- سورة الذاريات : الآية (49) .

6- وقُدِّم الجار والمجرور في قوله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] ؛ لبيان أن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم [2] ، وفي هذا تنبيه على عظم خطاياهم وفحشها الذي استوجب العذاب لأجلها .

7- أما في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [3] ، فمن أوجه الإعراب أن (في جنات) متعلق بالفعل (يتساءلون) ، وفي العدول بتقديم هذا المجرور على عامله تعجيل بالمسرة لأصحاب اليمين ، وتحقيق للتناسب برعاية الفاصلة .

وقد قُدِّم الجار والمجرور على الفعل في الاستفهام بالهمزة في موضعين من الربع الأخير من القرآن الكريم ، والغرض في كليهما هو الإنكار والتوبيخ الذي أفادته الهمزة والاهتمام بالمقدّم الذي أظهره التقديم .

1- ففي قوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [4] ، تقدّم الجار والمجرور أيضاً لكونه مدار الإنكار والتوبيخ ، وللاهتمام بتهويل العذاب [5] ، وقد تحقق التناسب برعاية الفاصلة في كلا الموضعين .

1- سورة نوح : الآية (26) .

2- ينظر : الكشاف : 219/6 .

3- سورة المدثر : الآيات (38-41) .

4- سورة الصافات : الآية (175) .

5- ينظر : البحر المحيط : 364/7 .

وقد يُقدَّم الجار والمجرور في حيّز النفي ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1] .

فهذه الآية تصوّر حال المباغتة التي تكون فيها النفخة الأولى لقيام الساعة حيث تأتي والناس مشغولون بأمر الدنيا ، والمعنى : ((أنه إذا نُفخ في الصور النفخة الأولى لا يستطيع الناس توصية في شيء من أمورهم إن كانوا فيما بين أهليهم ، وإن كانوا خارج أهليهم لا يستطيعون الرجوع ، بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا)) [2] .

وفي العدول بتقديم المجرور (أهلهم) على العامل إظهار لاهتمام الإنسان بأهله في الدنيا وارتباطه بهم ، وإظهار لسرعة المباغتة التي تفصل الإنسان عن أهم شيء في الدنيا عنه وهم أهله ، وقد تحقق في هذا التقديم أيضاً رعاية الفاصلة .

2- وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [3] ، فالهمزة للإنكار والتوبيخ ، والمعنى : أمن القرآن تعجبون تعجب إنكار وتضحكون استهزاء ولا تبكون حزناً وجزعاً من وعيده سبحانه وأنتم معرضون في لهو وغفلة [4] ، وقد نقل أبو حيان مجموعة معان لـ(سامدون) هي : معرضون ، ولاهون ، وغافلون ، ومستكبرون ، وساهون ، وجامدون [5] ، وفي

1- سورة يس : الآية (49) .

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 171/7 .

3- سورة النجم : الآيات (58-60) .

4- ينظر : البحر المحيط : 167/8 .

5- ينظر : السابق : 167/8 .

تفسير غريب القرآن أنه بمعنى غافلون أو لاهون أو متحيرون [1] ، وكلها يجمعها معنى الإعراض .

1- ينظر : ص (423) .

المطلب الثاني : العدول بتقديم الظرف على الفعل

ويعدل عن الرتبة أيضاً بتقديم الظرف على الفعل لتحقيق غرض بلاغي لا يتحقق بذكره على الأصل ، ومن ذلك :

1- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [2] ، تقدَّم الظرف للاهتمام بالتنبيه إليه وإظهار هول ما يقع فيه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [3] .

2- أما قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [4] ، فـ(يومئذ) بدل من (يوم تقوم الساعة) [5] ، والغرض من التقديم هو تهويل ذلك الموقف الرهيب الذي يخسر فيه المبطلون ، واسترعاء الأسماع لما يرد من وصف أحواله [6] ، وتوكيد كونه يوم خسارة المبطلين وخيبتهم ، وبتأخير الفعل وقع فاعله رأس الآية فتحقق التناسب برعاية الفاصلة .

1- سورة الزمر : الآية (57) .

2- سورة الأحقاف : الآية (19) .

3- سورة الجاثية : الآية (33) .

4- سورة الجاثية : الآية (26) .

5- ينظر :الكشاف ، 489/5 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 74/8 .

6- ينظر : التحرير والتنوير ، 366/25 .

3- وفي قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ، عُدل عن أصل الرتبة بتقديم الظرف (يومئذ) أي : فيوم إذ نفخ في الصور ودكّت الأرض والجبال قامت القيامة ، وفي التقديم اهتمام بالظرف لما يقع فيه تنبيهاً على عظمة الحدث ومهابته ورهبته ، وبتقديم الظرف تأخر الفعل فوقع فاعله رأس الآية فتناسبت الفاصلة مع غيرها .

4- وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً ﴿٦﴾ ﴾ [2] ، انتظمت الآيات على العدول بتقديم الظرف على الفعل ، والكلام مسوق لإثبات الحشر والتذكير به والتحذير من أهواله ، فإنه عند حصوله يعلم الناس أن الزلزال كان إنذاراً بهذا الحشر[3] ، وفي تقديم الظرف في الموضعين اهتمام بالتنبيه إليه وتوكيد لوقوعه ، وقد تحقق في الموضع الأول تناسب برعاية الفاصلة .

ومن مواضع العدول عن الرتبة بتقديم الظرف على عامله في النفي ، قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [4] ، أي : ((يوم الحساب لا تُظلَم نفس من النفوس برة كانت أو فاجرة شيئاً من الظلم)) [5] ، وقُدِّم الظرف للاهتمام به من حيث انتفاء الظلم فيه ، وقصر الأجزاء على العمل في الدنيا تنبيهاً على قوة التلازم والارتباط بين الجزاء والعمل [6]،

1- سورة الحاقة : الآية (14) .

2- سورة الزلزلة : الآيات (4-6) .

3- ينظر : التحرير والتنوير : 493/30 .

4- سورة يس : الآية (53) .

5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 172/4 .

6- ينظر : السابق ، 172/4 .

فتقديم (اليوم) على عامله المنفي أظهر العناية به باعتباره ظرفاً لإحقاق الحق ورفع الظلم ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٨ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٩﴾[1]، حيث عُدل عن الأصل بتقديم الظرف (يومئذ)على الفعل المنفي (لا يعذب) والفعل المعطوف عليه (لا يوثق) ، والمعنى : فيومئذ لا يعذب عذاب الله أحد من الخلق ولا يوثق وثاق الله أحد من الخلق ، أي : لا يبلغ أحد من الخلق كبلوغ الله في العذاب والوثاق [2] ، فهو يوم شديد ، والعذاب فيه لا يقارن بأي عذاب ، والغرض من العدول هو إظهار شدته وهوله من خلال نفي أن يكون عذاب مثل العذاب الذي فيه وإيثاق مثل الإيثاق الذي فيه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٣٥ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّيُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ ۝٣٩ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ [6] .

1- سورة الفجر : الآيتان (28-29) .

2- ينظر : التفسير الكبير ، 176/31 .

3- سورة غافر : الآية (15) .

4- سورة الجاثية : الآية (34) .

5- سورة الرحمن : الآية (38) .

6- سورة الحديد : الآية (14) .

المطلب الثالث : العدول بتقديم الحال على الفعل

1- قوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾ [1] ، حيث انتصب (خشَّعاً) على الحال من ضمير (يخرجون) والعامل فيه (يخرجون) لأنه فعل متصرِّف ، وقد أشار أبو حيان إلى أن هذه الآية دليل على بطلان من قال بعدم تجويز تقديم الحال على الفعل ، وإن كان متصرّفاً [2] .

أما الغرض من العدول هو إظهار حال الذل والمهانة التي يكون عليها الكفار يوم القيامة ، قال الزمخشري : ((وخشوع الأبصار : كناية عن الذلة والانخزال لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما)) [3] ، ولعلّ هذا الغرض في إظهار حالهم وإثباتهم هو ما قصده الألوسي في إشاراته إلى أن التقديم للاهتمام [4] ، فهو اهتمام بإبراز ذلهم ومهانتهم .

2- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ ﴾ [5] ، من أوجه الإعراب في قوله (على الأرائك) أنه حال من الضمير في المجرور (في نعيم) أو من الفاعل في (ينظرون) [6] ، والظاهر كونه حالاً من ضمير الجماعة ؛ لأنه بيّن هيئتهم في الجلوس على الأرائك ، والإتكاء عليها ، فهم ينظرون وهم على الأرائك

1- سورة القمر : الآية (7) .
2- ينظر : البحر المحيط ، 173/8 .
3- الكشاف : 655/5 .
4- ينظر : روح المعاني ، 80/27 .
5- سورة المطففين : الآيتان (22-23) .
6- ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، 1277/2 .

((إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله عن النعمة والكرامة ، وإلى أعدائهم يعذَّبون في النار)) [1] ، والغرض من العدول هو الاهتمام بإظهار حالهم في الراحة والنعيم وسعادتهم في الفوز بالمقام الدائم ، وتم مع ذلك تحقيق التناسب برعاية الفاصلة .

3- وعُدل عن الأصل بتقديم الحال على فعله في الاستفهام بالهمزة في موضعين ، وفي كل منهما كان مصحوباً بالمفعول به ، ولكن لكل موضع من دواعي العدول ما يخالف الآخر ، وإن كان الاستفهام قد شملهما بدلالة الإنكار .

الموضع الأول في قوله : ﴿ أَإِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [2] ، حيث قدّم الحال (إفكاً) على عامله (الضمير في تريدون) ، أي : آفكين ، للاهتمام بالتعجيل بالتعبير عن كذبهم وضلالهم [3] ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن العدول بتقديم المفعول [4] .

والموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] ، فقوله (أبشراً) منصوب بفعل يفسره المذكور ، و (منّا) نعت و (واحداً) حال من الهاء في (نتّبعْه) [6] ، ودلّ الاستفهام على الإنكار حيث أنكروا أن يرسل الله إلى الناس بشراً مثلهم ، فلو شاء الله الإرسال لأرسل ملائكة [7]،

1- الكشاف : 338/6 .

2- سورة الصافات : الآية (86) .

3- ينظر : التحرير والتنوير : 139/23 .

4- ينظر : ص124 من هذه الرسالة .

5- سورة القمر : الآية (24) .

6- ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، 194/2 ، الفتوحات الإلهية ، 246/4-247 .

7- ينظر : التحرير والتنوير ، 196/27 .

وقد أشار الرازي إلى أن الحكمة في تقديم حاله وصفاته أنهم قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع [1] ، فالمشركون أرادوا إظهار كونهم محقين في عدم الاتباع لكونه بشراً من جنسهم ، وقد ((بنوا كفرهم على أنّ من كان مثلهم بشراً ، لم يكن بمثابة أن يتبع ويطاع ، وينتهي إلى ما يأمر ، ويصدق أنه مبعوث من الله تعالى ، وأنهم مأمورون بطاعته)) [2] ، فالعدول كان لأن المقدم هو مدار الإنكار وسبب الامتناع حيث تسلّط الإنكار على الجنس والعدد ، بأن أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر ، وأنكروا أن يكون واحداً وحيداً ليس له جند وخيل وخدم ، لذلك امتنعوا عن التصديق به ، وتلبية دعوته .

1- ينظر : التفسير الكبير : 50/29 .

2- كتاب دلائل الإعجاز : ص122 .

المبحث الرابع

التقديم المعنوي (تقديم الفعل على الفعل)

المبحث الرابع : التقديم المعنوي (تقديم الفعل على الفعل)

قسَّم ابن الأثير التقديم والتأخير إلى ضربين : الأول مختص بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أُخِّر المقدّم أو قدّم المؤخر لتغير المعنى ، والثاني يختص بدرجة التقدّم في الذكر ؛ لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغيَّر المعنى .

فالضرب الأول ينصرف إلى الرتب النحوية ، ويشمل التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه وبين العامل ومعموله ، وبين المتعلقات فيما بينها ، وبين التوابع[1] ، وقد سبق الحديث في ذلك .

والضرب الثاني ينصرف إلى الرتب المعنوية ، أي أنه يختص بالمعاني وترتيبها في الكلام بحسب ترتيبها في النفس ، وهو أمر يختلف من شخص لآخر ، ولا يهتم بالرتب النحوية التي يحدث أي تغيير فيها ، تقديماً أو تأخيراً ، تغييراً في المعنى .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير على هذا النوع من التقديم : تقديم السبب على المسبب ، وتقديم الأكثر على الأقل ، وتقديم الأعجب فالأعجب ، وتقديم الأفضل فالمفضول ، وقد ذكر على كل منها عدداً من الأمثلة مشيراً إلى أن أمثلة هذا الضرب من التقديم الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه ما يوجب له ذلك ، مما لا يحصره حد ، ولا ينتهي إليه شرح [2] .

1- ينظر : المثل السائر ، 210/2 .

2- ينظر : السابق ، 223/2 .

ثم جاء من بعده العلوي ، ورأى أن الألفاظ تابعة للمعاني ، والمعاني في التقديم لها أحوال خمسة هي :

1) تقديم العلة على معلولها ، وهذا كتقدّم الكون على الكائنية .

وقد ذكر أن مكان مثل هذا الطرح هو الكتب الكلامية ، موضحاً أن تقدُّم هذه الموجبات على موجباتها يكون تقدّماً ذهنياً ، لا زمانياً ، لأن الموجَب لا يتراخى عن موجبه [1] .

2) التقدّم بالذات ، مثل تقدّم الواحد على الاثنين .

3) التقدّم بالشرف ، هذا نحو تقدّم الأنبياء على الأتباع .

4) التقدّم بالمكان ، مثل تقدّم الإمام على المأموم .

5) التقدّم بالزمان ، كتقدّم الشيخ على الشاب [2] .

ويعد العلوي هذا الكلام قاعدة يمهِّد بها الكلام على (التقديم والتأخير) في حالتيه : ما يجب تقديمه ، ولو أخِّر لفسد المعنى وتغيَّر ، وما يجوز تقديمه ، ولو أخِّر لما فسد المعنى ولا تغيَّر .

وقد أفرد لكل من هاتين الحالتين تقريراً ، مبيّناً في التقرير الثاني منهما أن الشيئين إذا كان كل واحد منهما مختصاً بصفته تقتضي تقديمه على الآخر فالمتكلّم بالخيار في تقديم أيهما شاء .

ويبدو أن العلوي يكرر كلام ابن الأثير في هذه المسألة ، محاولاً بيانه وتوضيحه ؛ لأن ابن الأثير قدَّم الرأي ذاته في سياق حديثه عن التقديم المعنوي ، ولكنه لم يضع القاعدة التي صاغها العلوي في التقرير الثاني ، بل جعلها في ثنايا

1- ينظر : الطراز ، 57/2 .

2- ينظر : السابق ، 57/2-58 .

كلامه ، فجاء العلوي وجعلها في تقرير منفصل في ختام كلامه عن (التقديم والتأخير) .

ومن الواضح أن معنى الجملة لا يتغيّر في أمثلة هذا النوع ، ولا يتأثر بتغيّر ترتيب المفردات في الجملة ؛ لأن أي ترتيب فيه يكون مبَّررًا ، كما يكون عكسه مبَّررًا ومقبولًا أيضًا ، لا يتسبب بخلل أو اضطراب في المعنى .

ولأن التقديم والتأخير في أصله يستند إلى أساس نحوي ، والنحو يدرس علاقات الكلم ببعضها داخل التركيب ، وأي تغيير في بنية التركيب يحدث تغييرًا موازيًا في معناه ، فإن هذا النوع يبدو أقرب إلى المباحث التي تهتم بالعلاقات المنطقية بين المعاني ، أو بأولويات ما يخطر على الفكر ، وهو أمر يختلف من شخص لآخر ، بغض النظر عن الرتب النحوية ، ولذلك قال ابن الأثير أنه ((لا يحصره حد ، ولا ينتهي إليه شرح)) [1] .

وسأورد طائفة من الأمثلة لتقديم فعل على آخر لتحقيق غرض معنوي ما كان ليدرك لولا هذا التقديم .

1- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ إِتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [2] .

ذكرت الخشية بعد الاتباع ؛ لأنها لا تحصل إلا به ، فتقديم الاتباع وقع لكونه السبب في الخشية ، والباعث على حصولها في قلوب المؤمنين ، فقدِّم السبب

1- المثل السائر : 223/2 .

2- سورة يس : الآية (10) .

على المسبب [1] .

2- وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] ، قدّم (تُسمع الصم) على (تهدي العمي) ليتمم معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَّعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] ، لأن قوله (أفأنت تسمع الصم) رأس الآية راجع إلى رأس الآية السابقة لها ، الأولى في العَشا ، وهذه في الصمم ، وبذلك يستوفي الكلام صممه مع عماه ، ولأن ذكر الرحمن الأصل فيه السماع ؛ ولذلك يقدّم ما يدل على افتقاده ، في مثل هذا السياق ، كما في قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ [4] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ [5] .

تقدّم ذكر فعل المغفرة على فعل العذاب ، لأجل التوافق المعنوي مع السياق ، فقد تقدّمها قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ

1- ينظر : التفسير الكبير : 47/26 ، التحرير والتنوير : 353/22 .
2- سورة الزخرف : الآية (39) .
3- سورة الزخرف : الآية (35) .
4- سورة البقرة : الآيتان (17 ، 170) ، ينظر : آل حم الشورى – الزخرف – الدخان ، دراسة في أسرار البيان ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 م ، ص378 .
5- سورة الفتح : الآية (14) .

سَعِيراً ﴿١٣﴾ ﴾ [1] ، فالغفران جزاء الإيمان ، والعذاب جزاء الكفر ، فجاءت الآية وفاقاً لما تقدَّم : مقدماً فيها المغفرة ومؤخراً التعذيب تناظراً وتناسقاً مع ما تقدّم [2] .

وقد ورد عكس ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُعَذِّبُ مَن يَّشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَّشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [3] ، بتقديم ذكر العذاب على المغفرة ، وذلك لتقدّم ما يفيد استحقاق التعذيب ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [5] ، فقد وقع في الآيتين ذكر تنكيل الطائفتين ممن حارب الله أو سرق ، فقدَّم ذكر العذاب على المغفرة تناسباً مع ما قبلها [6] .

3- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [7] .

جاء في تأويل مشكل القرآن أنه تدلّى فدنا لأنه تدلَّى للدنو ودنا للتدلي [1] ، فالظاهر أن الثاني سبب في الأول ، فقدّم المسبب على السبب .

1- سورة الفتح : الآية (13) .

2- ينظر : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، (د.ط) ، 1983 م ، 387/1 .

3- سورة المائدة : الآية (42) .

4- سورة المائدة : الآية (35) .

5- سورة المائدة : الآية (40) .

6- ينظر : ملاك التأويل : 386/1-387 .

7- سورة النجم : الآية (8) .

4- وقد يكون ترتيب الأفعال على أساس سَبْقها في الأهمية ، فيُقدَّم ما هو أحق بالاهتمام ، ثم يليه ما هو أدنى منه في ذلك ، ومنه ما ورد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

إن الخطاب في هذا السياق جاء في معرض الرد على الكفرة منكري البعث [3] ، وقد ناسب ذلك تصديره بـ(إنَّ) التي تفيد التوكيد ، وإتباعها بـ(نا) الفاعلين الدالة على العظمة ، ثم توكيده بالضمير المنفصل (نحن) ، وكل ذلك ليدل على القدرة المطلقة لعملية الإحياء بعد الموت ، ليكون أبلغ رد على منكري البعث ، فمن المعروف أن الخالق ﷻ يحصي أعمال الناس في الحياة الدنيا ، ثم يحييهم بعد الموت ليحاسبهم على أعمالهم ، لكنه هنا قدَّم الإحياء بعد الموت على الكتابة وإحصاء الأعمال في الدنيا ؛ وذلك من أجل لفت انتباه المتلقِّي إلى أهمية الدلالة ، فلولا البعث والحساب لانعدم تأثير الكتابة وإحصاء الأعمال ، فإنما تكتب أعمال الناس في الدنيا ، لكي يحاسبوا عليها بعد الموت ، ((فالإحياء هو المعتَبر ، والكتابة مؤكِّدة معظِّمة لأمره ، فلهذا قدَّم الإحياء)) [4] .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5] ، فقد قُدِّم فعل الضحك على فعل البكاء للاهتمام بالتنبيه على القدرة ورعاية الفاصلة [6] ، ومثله قوله تعالى:

1- ينظر : ص(193-194) .

2- سورة يس : الآية (11) .

3- ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 419/17 .

4- الفتوحات الإلهية : 505/3 .

5- سورة النجم : الآية (42) .

6- ينظر : التحرير والتنوير : 143/27 .

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] ، حيث قدّم الفعل (أمات) على الفعل (أحيا) للاهتمام بالتنبيه على العبرة بالإماتة والرد على قولهم:﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [2] ، ورعاية للفاصلة [3] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [4] ، حيث أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهما مطلوبان ، ومقامهما في الطلب الإيماني معلوم ولكن المبدوء به أهم [5] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾[6] ، فالقياس أن يقدم الفعل(يولد) على الفعل (يلد) ؛ لأنه أسبق منه في الوجود كما ورد في قوله تعالى:﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾[7] ، لكنه عدل عن ذلك فوقع الابتداء بأنه (لم يلد) لأنهم ادعوا أنّ له ولداً، وذلك لأن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله،﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [8] ، ولم يدَّعِ أحدٌ أن له والداً ، فلهذا السبب كان تقديم الأهم فقال (لم يلد) مشيراً إلى الحجة فقال : (ولم يولد) كأنه قيل الدليل على

1- سورة النجم : الآية (43) .
2- سورة الجاثية : الآية (23) .
3- ينظر : التحرير والتنوير : 144/27 .
4- سورة المزمل : الآية (20) .
5- ينظر : ملاك التأويل : 206/1-207 .
6- سورة الإخلاص : الآية (3) .
7- سورة البلد : الآية (3) .
8- سورة التوبة : الآية (30) .

امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدًا لغيره [1] ، فبما أنهم لم ينسبوا له والدًا كان حري بهم أن لا ينسبوا له ولدًا .

5- قوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَنْ يَّتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [2] .

ورد الفعل (يتأخر) في الآية الكريمة بعد الفعل (يتقدم) ، والمعنى : لمن شاء أن يتقدم إلى الإيمان والخير لينتذر بهما أو يتأخر عنهما ، أو لمن شاء أن يتقدم إلى سقر بالإقدام على الأعمال التي تقدمه إليها ، أو يتأخر عنها بتجنب ما من شأنه أن يقربه منها [3] ، فالتقديم والتأخير بين الفعلين المعطوفين هنا جاء مراعاة لاشتقاق اللفظ كما ذكر الزركشي [4] ، أو مناسبة لما اشتق منه اللفظان كما ذكر ابن الصائغ [5] ، والمقصود من قوليهما واحد وهو أن الترتيب وقع وفقاً لمدلول الفعلين .

وشبيه بذلك قوله تعالى : ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [6] ، أي : بما فعله وما تركه مما أمر بفعله أو نهي عن فعله ، فخالف ما كلّف به [7] ،

1- ينظر : التفسير الكبير : 183/32 .

2- سورة المدثر : الآية (37) .

3- ينظر : التحرير والتنوير ، 323/29 .

4- ينظر : البرهان : 263/3 .

5- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، (د.ط) ، 1973م، 38/3 .

6- سورة القيامة : الآية (13) .

7- ينظر : التحرير والتنوير ، 347/29 .

وقوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ [1] ، والمعنى : عملته مقدماً في أول العمر أو مؤخراً في آخره ، وقد يكون المقصود المبادرة بالعمل أو تركه [2] .

وقد ورد الفعل في آية المدثر بصيغة المضارع ، بينما ورد في آيتي القيامة والانفطار بصيغة الماضي ؛ وذلك لأن الحديث في الأولى عن الحياة الدنيا لذلك عبّر بحرف العطف (أو) الدال على التخيير ، فالإنسان بالخيار إما أن يتقدم إلى الإيمان أو يتأخر عنه ، أما الحديث في الثانية والثالثة فهو عن يوم القيامة ؛ لذلك ورد الفعل فيهما بصيغة الماضي ، فالدنيا ماضٍ بالنسبة للآخرة ، ومما يعزز هذا المعنى التعبير بحرف العطف (و) الدال على الجمع ، لأن الإنسان يوم القيامة سيعلم بما قدّم أخّر ، بما فعل وترك ، وسيحاسب على ذلك حسبما عَمِل ، وقد يكون التقديم رعاية للفاصلة إلى جانب ما ذكر .

1- سورة الانفطار: الآية (5) .

2- ينظر : التحرير والتنوير ، 173/30 .

نتائج البحث

حاولت هذه الدراسة خلال فصولها الأربعة الكشف عن الأسرار البلاغية لعدول الأفعال في الربع الأخير من القرآن الكريم ، وخلصتْ إلى النتائج الآتية :

1- أن العدول يمثل السمة الفارقة بين اللغة المثالية ذات الوظيفة التوصيلية واللغة الأدبية ذات الوظيفة التأثيرية ، مما يظهر قدرات المبدع الفنية ومواهبه التعبيرية ، ويكسب النص جدة وتميزًا ، اللذين من شأنهما أن يدهشا المتلقي ويجذبا اهتمامه .

2- للعدول مصطلحات مرادفة له مبثوثة في الكتابات المعاصرة تبلغ نحو الستين مصطلحًا ، من بينها الانزياح ، والانحراف ، والخرق ، والكسر .

3- إنّ مصطلح العدول من أكثر المصطلحات ملاءمةً لدراسة النص القرآني الكريم، لأنه ورد في كتب المفسرين والبلاغيين القدامى والمحدثين معاً .

4- إن أي دارس – مهما أوتي من دربة ودراية – لا يستطيع أن يحدد كل صور العدول ؛ لوروده في كل السور الكريمة ، المكية منها والمدنية ، ويندر أن تخلو منها سورة من الكتاب العزيز ، وفي أكثر من موضع من كل سورة5

5- من خلال البحث والاستقراء تبين أن النص القرآني في ربعه الأخير حفل بعدد من صور عدول الفعل ، وفق الآتي :

1- العدول في البناء ، ويشمل :

أ- العدول عن صيغة المبني للمعلوم إلى صيغة المبني للمجهول في المستويين الاستبدالي والتركيبي .

ب- العدول عن صيغة المبني للمجهول إلى صيغة المبني للمعلوم في المستوى التركيبي .

2- العدول في الزمن ، ويشمل :

أ- العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في المستوى الاستبدالي ، وإلى صيغة أخرى للماضي أو المضارع في المستوى التركيبي .

ب- العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في المستوى الاستبدالي ، وإلى صيغة أخرى للمضارع أو الماضي في المستوى التركيبي .

جـ- العدول عن صيغة الأمر إلى صيغتي الماضي والمضارع في المستوى الاستبدالي ، وإلى صيغة أخرى للأمر في المستوى التركيبي .

3- العدول في الرتبة ، ويشمل :

أ- تقديم الفاعل على الفعل .

ب- تقديم المفعول به على الفعل .

جـ- تقديم بعض المتعلقات الأخرى(الجار والمجرور ، والظرف ، والحال)على الفعل.

د- تقديم الفعل على الفعل .

6- يبنى الفعل للمجهول ليتركز الذهن في الحدث ، وبخاصة حين يتعلق الحديث باليوم الآخر ، وتنزيهاً للمولى ﷻ وتأدباً معه بعدم إسناد أفعال الشر له ، وإن كان الخير والشر جميعاً بيده وحده .

7- تدل صيغة الماضي على تحقق وقوع الحدث وتأكيده ؛ لذلك يعدل إليها للتعبير عن أحداث يوم القيامة المستقبلية ، في حين يعدل إلى صيغة المضارع لدلالتها على الاستمرار ، كما أنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منها ، وتدل صيغة الأمر على امتثال المأمور لما أمر به من الفعل .

8- كان للتقديم في النص القرآني الكريم دوره في إظهار العناية والاهتمام بالمقدم ، ولفت انتباه السامع إليه ، بالإضافة إلى إفادة الاختصاص ، وتقوية المعنى وتوكيده، ورعاية الفاصلة .

9- إنّ العدول في الأفعال سواء بإحلال صيغة محل أخرى ، أو بتقدم أحد متعلقات الفعل عليه ، يضع الفعل موضعه الذي يضيف إلى السياق معنى لا يمكن لغيره أن يحل محله ، إضافة لما توحيه صيغة الفعل أو موقعه من معنى عبر مستواه الصوتي أو الصرفي أو الدلالي .

10- ثبت من خلال الدراسة أن بعض صور العدول في الأفعال غير متحققة في الربع الأخير من القرآن الكريم ، وهي : العدول عن صيغتي الماضي والمضارع إلى صيغة الأمر في المستويين الاستبدالي والتركيبي ، والعدول عن صيغة الأمر إلى صيغتي الماضي والمضارع في المستوى التركيبي .

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ، فإن كنت أصبت فلِلّهِ الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فجلّ من لا يخطئ .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فهرس الآيات

الآيـــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	البقرة	17، 170	156
﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾	آل عمران	26	58
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	المائدة	35	157
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ...﴾	المائدة	40	157
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾	المائدة	42	157
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾	الأنعام	36	25
﴿۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ ...﴾	الأعراف	28	92
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ...﴾	التوبة	30	159
﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ...﴾	يونس	10	46
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾	هود	12	35
﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ...﴾	هود	54	78
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾	إبراهيم	50	55
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾	النحل	49،50	70
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾	النحل	96	89
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ...﴾	النحل	112	82
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾	الإسراء	44	89
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ...﴾	الإسراء	83	58
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ...﴾	الكهف	6	113
﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾	الكهف	32	81
﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	الكهف	44	81
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ...﴾	الكهف	99	140

الآيـــــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ ...﴾	طه	68	65
﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	الحج	5	105
﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَا أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِۦ﴾	الحج	63	56
﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾	النور	39	105
﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾﴾	الفرقان	25	100،55
﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	الفرقان	42	96
﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾	الشعراء	2	114
﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ...﴾	الشعراء	89-88	65
﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾	الشعراء	116	51
﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِىءُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾	الأحزاب	1	79
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾	فاطر	4	51
﴿إِن ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَّشَآءُ ...﴾	فاطر	22	114
﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ...﴾	يس	6	118
﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً ...﴾	يس	8	118
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ...﴾	يس	10	155
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ ...﴾	يس	11	130،158
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾	يس	12	81
﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ...﴾	يس	42	115
﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾	يس	43	115
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ...﴾	يس	49	144
﴿فَٱلْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ...﴾	يس	53	147

الآيـــــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾	الصافات	12	80،95
﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ ...﴾	الصافات	14-13	95
﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ...﴾	الصافات	47-45	115
﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾	الصافات	60	139
﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾	الصافات	61	139
﴿أَئِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾	الصافات	86	124،150
﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ...﴾	الصافات	96-95	119
﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾﴾	الصافات	175	143
﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ ...﴾	ص	17	88
﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ... ﴾	ص	27	94
﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ...﴾	ص	28	93
﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾	ص	49	76
﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ... ﴾	ص	68	70
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ...﴾	الزمر	10	94
﴿قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ...﴾	الزمر	14-12	125
﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ...﴾	الزمر	17	111
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴾	الزمر	20	92
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰباً مُّتَشَابِهاً ﴾	الزمر	22	119
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	الزمر	26	81
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ ...﴾	الزمر	28	81
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ...﴾	الزمر	57	146

الآيـــــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ... ﴾	الزمر	62	126
﴿بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾	الزمر	63	126
﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	الزمر	65-إلى آخر السورة	75
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً ...﴾	الزمر	70	76
﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ...﴾	الزمر	72	45،46
﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾	غافر	15	148
﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾	غافر	31	116
﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ... ﴾	غافر	72-71	140
﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً ...﴾	فصلت	2	117
﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾﴾	فصلت	3	117
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ ...﴾	فصلت	16	135
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ...﴾	فصلت	36	128
﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... ﴾	فصلت	37	70
﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾	فصلت	46	140
﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ...﴾	الشورى	1	70
﴿ وَالْمَلَٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... ﴾	الشورى	3	70
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً ﴾	الشورى	5	71
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨﴾﴾	الشورى	8	140
﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾	الشورى	12	46
﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾	الشورى	13	142
﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾	الشورى	19	46
﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾	الشورى	33	89

الآيـــــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿وَتَرَىٰ ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ...﴾	الشورى	41	77
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	الشورى	49	71
﴿أَلاَ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ ۝﴾	الشورى	50	141
﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلأَوَّلِينَ ۝ ...﴾	الزخرف	6-5	92
﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ...﴾	الزخرف	31	112
﴿وَمَنْ يَّعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً... ﴾	الزخرف	35	156
﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ ...﴾	الزخرف	39	113،156
﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾	الزخرف	71	59
﴿كَٱلْمُهْلِ تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝﴾	الدخان	43	49
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ...﴾	الجاثية	13	83
﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ...﴾	الجاثية	23	121،159
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ...﴾	الجاثية	24	121
﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ...﴾	الجاثية	25	120
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝﴾	الجاثية	26	146
﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ ...﴾	الجاثية	33	146
﴿فَٱلْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝﴾	الجاثية	34	148
﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾	الأحقاف	19	146
﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝﴾	محمد	16	49
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ ...﴾	محمد	21	86
﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾	الفتح	13	157
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ... ﴾	الفتح	14	156
﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾	الحجرات	7	73

الآيـــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾	ق	7	134
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ... ﴾	ق	21-20	77
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾	ق	40	142
﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾﴾	الذاريات	10	46
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾	الذاريات	47	28،134
﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾	الذاريات	48	134
﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ...﴾	الذاريات	49	142
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	الذاريات	56	91
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾	الطور	47	142
﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾	النجم	8	157
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾	النجم	42	158
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٣﴾﴾	النجم	43	159
﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ...﴾	النجم	60-58	144
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾	القمر	1	77
﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ...﴾	القمر	7	149
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا ...﴾	القمر	9	51
﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾	القمر	10	51،52
﴿فَقَالُواْ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ ...﴾	القمر	24	150
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	القمر	49	129
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾	القمر	52	136
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَاوَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٥﴾﴾	الرحمن	5	134
﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿٨﴾﴾	الرحمن	8	134

الآيـــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ۝١٩﴾	الرحمن	18	55
﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝٣٧﴾	الرحمن	36	54،55
﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّيُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ ۝٣٩﴾	الرحمن	38	148
﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ...﴾	الواقعة	5-1	53
﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً ...﴾	الواقعة	5-4	43
﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ...﴾	الواقعة	50-49	71
﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾	الحديد	14	148
﴿إِعْلَمُواْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...﴾	الحديد	19	92
﴿وَرَهْبَانِيَّةً إِبْتَدَعُوهَا﴾	الحديد	26	134
﴿۞ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا ...﴾	المجادلة	1	71
﴿۞ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾	الممتحنة	1	99
﴿إِنْ يَّثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً ...﴾	الممتحنة	2	97
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى ...﴾	الصف	5	72
﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ ...﴾	الصف	11-10	83
﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثاً ...﴾	التحريم	3	87
﴿لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾	التحريم	6	70
﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾	الملك	29	140
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ...﴾	الحاقة	6-5	73
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣﴾	الحاقة	12	43
﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٤﴾	الحاقة	14	147

الآيـــــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ...﴾	الحاقة	32-30	130
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً ۝٢٥﴾	نوح	26	143
﴿وَإِنَّا لاَ نَدْرِيۤ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلأَرْضِ...﴾	الجن	10	58
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ ...﴾	المزمل	14	99
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	المزمل	20	159
﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ...﴾	المدثر	5-1	127
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ...﴾	المدثر	20-18	47
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَنْ يَّتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾	المدثر	37	160
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ... ﴾	المدثر	41-38	143
﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾	القيامة	13	160
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ... ﴾	القيامة	24-21	58
﴿۞ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ... ﴾	الإنسان	1	64
﴿إِنَّ ٱلأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ... ﴾	الإنسان	5	60
﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ...﴾	الإنسان	21-15	59
﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧﴾	الإنسان	17	48
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ۝٢٠﴾	الإنسان	20	77
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ۝٢٣﴾	الإنسان	23	119،120
﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ۝٢٦﴾	الإنسان	26	142
﴿يُدْخِلُ مَنْ يَّشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ...﴾	الإنسان	31	133
﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ...﴾	المرسلات	10-8	43
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ۝١٨﴾	النبأ	18	44،45،100
﴿وَفُتِّحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ۝١٩﴾	النبأ	19	44،100

الآيـــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴿٢٠﴾﴾	النبأ	20	44
﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّاباً ...﴾	النبأ	29-28	130
﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ...﴾	النازعات	32-30	133
﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾	النازعات	36	45
﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾	عبس	18-17	47
﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ...﴾	التكوير	14-1	44
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ...﴾	الانفطار	4-1	44،54
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾	الانفطار	5	44،161
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ...﴾	المطففين	23-22	149
﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾	المطففين	25	48
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾	الانشقاق	1	44،55
﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾	الانشقاق	2	44
﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾	الانشقاق	3	44،62
﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾	الانشقاق	4	62
﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾	البروج	4	47
﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾	البروج	8	92
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ...﴾	الطارق	16-15	101
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ...﴾	الغاشية	5-1	48
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴿٢١﴾﴾	الفجر	23	44
﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥ أَحَدٌ ...﴾	الفجر	29-28	148
﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾	البلد	3	159
﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾	البلد	10	135

الآيـــــــــة	السورة	الآية	الصفحة
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾	الزلزلة	1	44،61
﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾	الزلزلة	2	61
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ...﴾	الزلزلة	6-4	147
﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ...﴾	العاديات	10-9	44
﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ...﴾	الكافرين	5-4	90
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾	الإخلاص	3	159

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً / القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني ، المكتوب بالخط الكوفي.
- ثانياً / الكتب :

1- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، (د.ط) ، 1973م.

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العماري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، 1994 م .

3- أسرار التكرار في القرآن ، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، الكرماني ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة ، (د.ط) ، (د.ت) .

4- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، حسن طبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1998م .

5- الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، سعد مصلوح ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، 1980 م .

6- الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق ، يوسف أبو العدوس ، دار المسيرة ، عمّان ، ط1 ، 2007 م .

7- الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط3 ، 1982 م .

8- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، نور الدين السد ، دار هومة ، الجزائر ، (د.ط) ، 1997 م .

9- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف وغليسي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2008 م .

10- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، (د.ت) .

11- الأفعال في القرآن الكريم ، دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته ، عبد الحميد السيد ، دار الحامد ، عمان ، ط1 ، 2007 م .

12- آل حم الشورى – الزخرف – الدخان ، دراسة في أسرار البيان ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 م .

13- آل حم غافر– فصلت ، دراسة في أسرار البيان ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2009 م .

14- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، أحمد محمد ويس ، المؤسسة الجامعية، بيروت ، (د.ط) ، 2005 م .

15- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر ، دار صادر ، بيروت ، (د.ط) ، 1990 م .

16- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط6 ، 1974 م .

17- الإيمان ، ابن تيمية ، خرّج أحاديثه : محمد الألباني ، إشراف : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط4 ، 1993 م .

18- البحر المحيط ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : عادل عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993 م .

19- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط2 ، 1972 م .

20- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : علي أبو القاسم عون ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2006 م .

21- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (د.ط) ، 1992 م .

22- البلاغة العربية ، قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ، دار نوبال للطباعة ، القاهرة، ط2 ، 2007 م .

23- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ، شركة العاتك ، القاهرة ، ط2 ، 2006 م .

24- البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية ، القاهرة ، (د.ط) ، 2009 م .

25- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1986 م .

26- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان ، القاهرة ، عالم الكتب ، (د.ط) ، 2000 م .

27- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، مراجعة : أحمد مختار عمر ، خالد عبد الكريم جمعة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، (د.ط) ، 1997 م .

28- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1981 م .

29- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن حسين العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الشام للتراث ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

30- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، (د.ط) ، تونس ، 1984 م .

31- التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، ط4 ، 2006م.

32- التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، ط7 ، 1977 م .

33- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1981 م .

34- تفسير غريب القرآن ، ابن الملقن ، تحقيق : سمير عطية المجذوب ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ط) ، 1987 م .

35- التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د.ت) .

36- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : عبد الله التركي ، محمد عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2006 م .

37- حاشية الدسوقي على شرح السعد ، بهامش شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

38- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، دار الفكر ، (د.ط) ، (د.ت) .

39- الخصائص ، أبو الفتح بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1957 م .

40- خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط4 ، 1996 م .

41- دراسات لأسلوب القرآن ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

42- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2، 1987 م .

43- ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، (د.ت) .

44- ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

45- ديوان امرئ القيس ، عناية وشرح : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 2004 م .

46- روح المعاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

47- الزمان الدلالي ، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية ، كريم زكي حسام الدين ، دار غريب ، القاهرة ، ط2 ، 2001 م .

48- الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، بكري عبد الكريم ، دار الفجر ، القاهرة ، ط1 ، 1997 م .

49- شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي ، تقديم وتعليق : محمد عبد المعطي ، تخريج الشواهد : أحمد المصري ، دار الكيان ، الرياض ، (د.ط) ، (د.ت) .

50- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب نسخة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، (د.ط) ، 2004م.

51- شرح المقرب ، علي محمد فاخر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (د.ط) ، 1990 م.

52- شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوبي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط3 ، 1953 م .

53- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

54- ظاهرة العدول في شعر المتنبي دراسة في الشعرية ، مصطفى عبد الهادي عبد الله ، منشورات جامعة 7 أكتوبر ، مصراتة ، ط1 ، 2010 م .

55- الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1987 م .

56- العدول عن المطابقة في العربية ، حسين الرفايعة ، دار جدير ، عمّان ، (د.ط) 2005 م .

57- العدول في شعر ابن هرمة ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، (د.ط) ، 2007 م .

58- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، تحقيق : خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2001 م .

59- علم الأسلوب ، مفاهيم وتطبيقات ، محمد الكواز ، جامعة السابع من إبريل ، الزاوية – ليبيا ، (د.ط) ، 2004 م .

60- علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د.ط) ، 1985 م .

61- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، دار الفكر ، (د.ط) ، (د.ت) .

62- الفعل زمانه وأبنيته ، إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1986 م .

63- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط2 ، (د.ت) .

64- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط3 ، 1980 م .

65- الكامل ، أبو العباس المبرد ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، 1997 م .

66- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، 1988 م .

67- كتاب أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر، مطبعة ودار المدني ، جدة ، القاهرة (د.ط)، (د.ت).

68- كتاب دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط3 ، 1992 م .

69- كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، تصحيح: السيد محمد بدر الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ، (د.ط) ، 1327 هـ .

70- الكتابة في درجة الصفر ، رولان بارت ، ترجمة : نعيم الحمصي ، وزارة الثقافة ، (د.ط) ، دمشق ، 1970 م .

71- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، علي معوّض ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط1 ، 1998 م .

72- لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : منذر عياش ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، (د.ط) ، 1993 م .

73- اللزوميات ، أبو العلاء المعري ، تحقيق وإشراف : جماعة من الأخصائيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1986 م .

74- لسان العرب ، ابن منظور ، تصحيح : أمين عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999 م .

75- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 2009 م .

76- لغة القرآن ، محمود أحمد نخلة ، دار النهضة ، بيروت ، (د.ط) ، 1981 م .

77- اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربي ، شكري عيّاد ، انترناشينال برس ، ط1 ، 1988 م .

78- اللغة والخطاب ، عمر أوكان ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، (د.ط) ، 2001 م .

79- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم ، شرف الدين الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ، 1999 م .

80- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : بدوي طبانة ، وأحمد الحوفي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .

81- مجاز القرآن ، أبو عبيدة مَعمر بن المثنى ، تعليق : محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1981 م .

82- مدخل إلى علم الأسلوب ، شكري عياد ، دار العلوم ، الرياض ، ط2 ، 1992م.

83- معاني القرآن ، الفرّاء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخريْن ، الهيئة العامة للكتاب ، (د.ط) ، 1955 م .

84- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمّان ، ط5 ، 2011 م .

85- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، ط2 ، 1978 م .

86- المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، 1998م.

87- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، التعاضدية للطبع والنشر ، صفاقس، (د.ط) ، 1986 م .

88- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985 م .

89- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1996م .

90- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبه ، مكتبة لبنان ، بيروت ، (د.ط) ، 1984 م .

91- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2، 1987 م .

92- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

93- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أحمد ابن الزبير الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلّاح ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، (ط1) ، 1983 م .

94- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، ط2 ، (د.ت) .

95- الموازنة بين الطائيين ، الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1983 م .

96- مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ابن يعقوب المغربي ، ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

97- موجز البلاغة ، محمد الطاهر ابن عاشور ، المكتبة العلمية ، تونس ، (د.ط) ، (د.ت) .

98- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .

99- النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1968 م .

- ثالثاً / الرسائل العلمية :

1- أسلوبية الانزياح في النص القرآني ، أحمد الخرشة ، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، كلية الآداب ، 2008 م .

2- الالتفات في القرآن الكريم ، صدام حسين الدليمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 2006 م .

3- الانزياح في الشعر الليبي ، محمد الشلطامي ، ومفتاح العمّاري نموذجاً ، سالمة أحمد سليم ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، 2015م .

4- ظاهرة العدول في البلاغة العربية ، مقارنة أسلوبية ، عبد الحفيظ مراح ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، 2006 م .

5- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم ، دراسة دلالية ، جلال عبد الله الحمادي ، رسالة ماجستير ، جامعة تعز ، كلية الآداب ، 2007 م .

6- الفعل الماضي زمنه ودلالته في القرآن الكريم عبر إشارات المفسرين ، سورة البقرة أنموذجًا ، مريم محمد التريكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، 2014م .

7- ما لم يُسَمَّ فاعله في القرآن الكريم ، كريمة السيد أمير ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، 2001 م .

8- مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم ، ظافر بن غرمان العمري ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 2004 م .

- **رابعاً / الدوريات :**

1- مجلة جامعة الملك سعود ، إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي التراثي ، فاطمة البريكي ، م 20 ، 2008 م .

2- مجلة عالم الفكر ، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية ، مازن الوعر ، ع3،4، م22 ، 1994م .

3- مجلة علوم اللغة ، الدلالة الزمنة لصيغة الماضي في العربية ، محمد رجب الوزير، العدد الثاني ، م1 ، دار غريب ، القاهرة ، 1998 م.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	4-1
الفصل الأول **العدول في إطاره النظري**	**36-5**
المبحث الأول : مقاربة مفهوم العدول	6
المطلب الأول : مفهوم العدول وتعدد مصطلحاته	7
المطلب الثاني : معيار العدول ووظيفته	15
المطلب الثالث : تصنيفات العدول	19
المبحث الثاني : العدول بين البلاغيين والأسلوبيين	23
المطلب الأول : العدول عند البلاغيين القدامى	24
المطلب الثاني : العدول عند الأسلوبيين المحدثين	30
المطلب الثالث : العدول والنص القرآني	33
الفصل الثاني **العدول في بناء الأفعال**	**62-37**
مـدخـل	38
المبحث الأول : العدول الاستبدالي العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول	41
المبحث الثاني : العدول التركيبي	50
المطلب الأول : العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول	51
المطلب الثاني : العدول عن البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم	58

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث **العدول في بناء الزمن**	**102-63**
مدخــل	64
المبحث الأول : العدول الاستبدالي	68
المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي	69
المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع	74
المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمر	79
المبحث الثاني : العدول التركيبي	85
المطلب الأول : العدول عن صيغة الماضي	86
المطلب الثاني : العدول عن صيغة المضارع	93
المطلب الثالث : العدول عن صيغة الأمر	101
الفصل الرابع **العدول في الرتبة (التقديم والتأخير)**	**161-103**
مدخــل	104
المبحث الأول : العدول بتقديم الفاعل أو نائبه على الفعل	108
المطلب الأول : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الاستفهام	111
المطلب الثاني : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في النفي	115
المطلب الثالث : العدول بتقديم الفاعل على الفعل في الإثبات	119
المبحث الثاني : العدول بتقديم المفعول به على الفعل	122
المطلب الأول : العدول بتقديم المفعول به على الفعل دون شغل الفعل عنه	124
المطلب الثاني : العدول بتقديم المفعول به على الفعل وشغل الفعل عنه	129
المطلب الثالث : العدول بتقديم المفعول به على الفعل ورفعه بالابتداء	135
المبحث الثالث : العدول بتقديم بعض المتعلقات الأخرى على الفعل	138

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الأول : العدول بتقديم الجار والمجرور على الفعل	139
المطلب الثاني : العدول بتقديم الظرف على الفعل	146
المطلب الثالث : العدول بتقديم الحال على الفعل	149
المبحث الرابع : التقديم المعنوي (تقديم الفعل على الفعل)	152
نتائج البحث	**164-162**
فهرس الآيـــــات	165
قائمة المصادر والمراجع	175
فهرس المحتويات	187